- علمتني سورة النبأ : أن خلل الرؤية أعظم أسباب الضياع ، وإذا فقد الإنسان بوصلة الشمال لم يهتد بعدها إلى شيء ! (عم يتساءلون) عن أي شيء يتساءلون ! عن القرآن الذي أنزله الله تعالى إليهم وقد رسم لهم فيه ملامح الطريق وأبان لهم فيه كل شيء (وما خلقت الجن والإنسان إلا ليعبدون) ! أم عن الرسول الذي بعثه الله تعالى إليهم ليبين لهم تلك الغايات الكبرى التي تنتظرهم في مستقبل الأيام (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم) ! أم عن أي شيء يتساءلون وقد بان لهم كل شيء (يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها واما أنا عليكم بوكيل) ! إن هذا السؤال الذي يدور في أوساط قريش ليس سؤالاً يبحث عن الحقائق ، ويريد ذلك النور الذي يكشف به الظلام ، كلا ! وإنما سؤال عبثي يراد به إنكار كل البعث ، والبقاء في أسر تلك الجاهليات التي تأبى إلا أن تعيش في مساحات الظلام ! وعالم اليوم في كثير من أحداثه يشبه عالم الأمس في ضياع الطريق من أوله ، وضلال الرؤية من أصلها ويكاد يصنع للناس كل شيء وهو في ذات الوقت ضال لم يجد شيئاً ! وحسب القارئ لهذه الأسطر أن يدرك سر وجوده ، ويعرف المقصد العظيم الذي جاء له ، وما ذا ينتظر منه في النهايات حتى يسلم من الضياع (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) !

...

- وعلمتني : أن ثمة أفراد وأمم تؤجّر عقولها لآخرين وتسلمهم قيادها وترضى أن تبقى أتباعاً لهم في كل شيء ، وتتطوّر القضية إلى أكبر من ذلك فيتحوّل تفكير هؤلاء إلى جزء من منظومة أولئك فيفكّرون بتفكيرهم، ويتحدثون

بنمطهم ، ويحللون الأحداث من خلال رؤاهم ، ويصبحون ويمسون مجرد أدوات لغيرهم ، ويفرّطون في عقولهم أعز ما يملكون ! (عم يتساءلون . عن النبأ العظيم . الذي هم فيه مختلفون) وهذا التنازع الذي يجري في أوساطهم ليس بحثاً عن حقيقة البعث ، ولا بوصلة الشمال ، ولا إجابة للسؤال الكبير لم خلقنا؟ ولماذا جئنا إلى هذه الأرض ؟! كلا ! وإنما لأن آباءهم وأجدادهم تنازعوا في ذات القضية فحسب ! والعقول إذا سلّمت قيادها لآخرين بقيت أسيرة لها وترزح في قيودها وفقدت في النهاية كل شيء . وأخطر ما على الإنسان أن يفقد عقله وتفكيره ، ويؤجّر عقله ، ويصبح أداة لغيره ، وكم من عاقل جرى في فلك هذه المعاني خاصة في مثل زمانك وأصبح جزءاً من فكرة ، وعضواً في منظومة ، وفرداً في جماعة دون وعي ، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يتربى على الوحي ، ويتصرف في ضوء مفاهيمه ولا يقدم عليه كلام بشر كائناً من كان حتى يسلم من الانحراف في مستقبل الأيام .

...

- وعلمتني : أن كل الجوارح التي يمن الله تعالى بها على إنسان هي أقصر من أن تهدي صاحبها للحق مالم يصحبها توفيق ، كم هي الجوارح التي يملكها كل فرد من هؤلاء وهم في كامل صحتهم وعافيتهم ومع كل ذلك لم تهدهم إلى الطريق رغم أن الله تعالى خاطبهم من خلال عقولهم وبيّن لهم ما يرون ، وحاكمهم إلى مشاهد ذلك الكون ، وعرض لهم تلك المشاهد عرضاً مدهشاً فقال تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً . وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . وبنينا فوقكم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً . لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافاً) ومع كل ذلك لم تدلهم جوارحهم على شيء من أفراح هذا المعنى الكبير ! وما تصنع جوارح لم يكتب الله تعالى لها

توفيقاً وسداداً ! وهي دعوة لكل من يقرأ هذا المعنى ألا يتكل على جوارحه أو قدراته أو مهاراته وإمكاناته في شيء ، وإذا لم يهدك الله تعالى ولم يدلك على الطريق لم تلق شيئاً يسعدك ولو كنت تملك كل شيء . وما حاجتنا إلى شيء حاجتنا إلى عون الله تعالى وتوفيقه وسداده في الدارين .

...

- وعلمتني : أن نعم الله تعالى كثيرة ومتعددة ولا سبيل إلى حصرها البتة وهذه المشاهد التي تعرضها السورة (ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . وبنينا فوقكم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً . لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافاً) بعض مشاهد تلك النعم ، ومن ألقى بمشاعره وفكره في أحداثها وتأملها حق التأمل عرف الله تعالى ، وقام له بحقه ، وأجَلّ شرعه ، وما أجمل قول الأول :

فيا عجباً كيف يُعصى الإله .. أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد .

فهذه الأرض الممهدة المذللة والتي تجري فيها مصالح الناس كما يشاؤون ، وتلك الجبال التي كالأوتاد لها لا تميد بهم ولا تضطرب ، وهذا الزوج الذي لا تكتمل أفراح الحياة إلا به ! والنوم القاطع لتعب الإنسان وتكاليف الحياة عليه وستر الليل الذي يمده الله تعالى على عباده ، وهذا النهار الآية التي يلقى فيها الإنسان كل شيء ، ويأتي على آماله من خلالها ، وهذه الأفلاك من سماء وقمر وشمس كلها تدلك على الله تعالى وتصنع في قلبك مشاهد تعظيمه

وإجلاله . وليس أهدى لقلبك من تكون هذه النعم هي أكثر ما يعرفك على ربك وتقوم له بكل شيء في واقعك .

...

- وعلمتني : أن من فقه الدعوة أن تتنوّع في الأدلة والأساليب حتى تأخذ حظها من عقول السامعين ، وليس من الفقه أن تتعامل الدعوة مع كل المدعوين بذات الأسلوب . فهؤلاء القوم كفار فلا مجال للتعامل معهم بدليل الوحي فحسب بل ينبغي إثارة عقولهم وأفكارهم بالدليل العقلي الذي يقوم على الاستنباط والمقارنات حتى يؤتي ثماره من تلك العقول ، وهذا العرض لهذه المخلوقات جزء من هذا المعنى الكبير . وهي رسالة لكل مرب ومعلم وأب وصاحب رسالة ومشروع أن يقرأ واقعه جيداً قبل أن يبدأ فيه مشروعه ثم يختار ما هو أنسب لإقناعهم فإن ذلك من كمال الوعي والتوفيق . وهذا المعنى يجري في كل قضية يراد لها النجاح سواء مع نفسك أو ولدك وطالبك وزوجك ومع كل من حولك حين نريد أن نبني قيماً ، ونؤسس لفضيلة ، ونخلع عادات وسلوكات سلبية يجب أن نتعامل بهذا المعنى ، وأن نناقش كل واحد من هؤلاء من الطريق الأنسب لإقناعه فإن ذلك أدعى للنجاح والإبداع .

...

- وعلمتني : أن ثمة نهايات تنتظر كل مخلوق مهما طال عمره (إن يوم الفصل كان ميقاتاً . يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً . وفتحت السماء فكانت أبواباً . وسيرت الجبال فكانت سراباً) وتلك النهايات ليست شيئاً عادياً ولا حدثاً عابراً ، ولا قصة مكرورة وإنما جنة ونار ، نعيم وعذاب ، حساب وجزاء ، حياة وموت ومن فقه هذه المعاني صار إلى خير مع الأيام . ولو أن عاقلاً أمهل نفسه بعضاً من الوقت في تصوّر تلك النهايات التي تنتظره ، والأحداث التي تستقبله بمجرد موته ورحيله من الدنيا لقنع من أول الأمر وآمن بقيوم

السموات والأرض ولكنها الغفلة لا تبقي شيئاً للذكرى . ما ذا ينتظر الظالمون لأنفسهم ، ولمن حولهم من العالمين يوم القيامة إلا هذه الحسرات (إن جهنم كانت مرصاداً . للطاغين مآباً . لا بثين فيها أحقاباً . لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً. إلا حميماً وغساقاً) وما الأفراح التي ينتظرها المتقون في تلك اللحظات (إن للمتقين مفازاً . حدائق وأعناباً . وكواعب أتراباً . وكأساً دهاقاً . لا يسمعون فيها لغواً ولا كذّاباً . جزاء من ربك عطاء حساباً) فانظر أين موقعك واستعد لتلك الأيام ، وتجهّز قدر وسعك فالأمر جد ولا تغرك الأماني وكم من اعتذار جاء متأخراً فلم يصنع لك شيئاً .

...

- علمتني سورة النازعات : أن المشاريع مكلفة وتحتاج إلى تضحيات كبيرة حتى تبلغ غاياتها في النهايات (هل أتاك حديث موسى) وهذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّره ربه تبارك وتعالى بأن المسألة ضخمة وكبيرة وتحتاج إلى جهاد يساوي قيمتها الكبرى . ونموذج موسى عليه السلام مع فرعون يدلك على تكاليف الطريق ويبعث في مشاعرك حجم التضحيات التي يجب أن يبذلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته حتى تتحقق له النتائج التي يرجوها والآمال التي ينشدها ! ومن تخّيل قصة موسى عليه السلام وبداياته وصراع اللحظات الأولى والخروج إلى مدين وقصة الزواج وحمل الرسالة ثم مواجهة الطاغية فرعون وقصة السحرة والخروج من مصر وقصة البحر ومعالجة بني إسرائيل وتقلباتهم في تلك المرحلة أدرك أن الطريق غير سالك والمشروع ضخم كبير ، والقضية تحتاج إلى تضحيات. وقد لقي نبينا صلى الله عليه وسلم في ذات الطريق ذات المشاق ، ضُرب صلى الله عليه وسلم وجُرح وأُلقي سلى الجزور على ظهره وحُصر في شعب أبي طالب سنوات ، وساوموه على منهجه ورسالته ودينه وطردوه من بلد الروح والجسد ولقي في الطائف من أحزان الطريق وعاش حادث الهجرة ولقي من أثقال التبعات ما لا يلقاه إلا الكبار ، وخاض معارك شتى مع اليهود والمنافقين ثم أذن الله تعالى به بالنصر ، وإذا تأملت ما بين بدايات الدعوة ، والنهايات التي آلت إليها مع الظروف التي صاحبتها أدركت ما معنى التذكير بقصة موسى في بديات الطريق ، وأنت كذلك إذا أردت أن تحمل فكرة أو مشروعاً أو قضية فاعلم أن المسألة ضخمة وتحتاج منك إلى ذات التضحيات وإنما تحمل من شرف قضيتك على قدر أثقالها وأحمالها في واقعك.

...

- وعلمتني : أن الأصل امتداد الصراع بين الحق والباطل ، وما عدا ذلك فصور عارضة لا تقدر على الصمود ، ولم يحدث أن تصالح الحق والباطل في بقعة من الأرض أو مساحة من الزمن ولا سبيل إلى ذلك لأن المسألة حق وباطل ولا يمكن أن يلتقيا في طريق ، وإذا كانت المسألة كذلك فروّض نفسك على حمل رسالتك ومشروعك وتكاليف قضيتك فالمسألة كبيرة وضخمة بحجم الحق الذي معك ، والباطل وإن كان يملك قوة وعتاداً وقدرة على مواصلة الطريق في مرات كثيرة إلا أنه للإخفاق والفشل في النهايات فلا تقلق لامتداد ذلك الصراع ولست مسؤولاً عن النتائج بقدر ما أنت مسؤول عن البلاغ المبين ، ومن فقهك وكمال وعيك أن تقبل صادقاً على دينك ، وليكن همك إغاثة العالم من حولك ، وتوسيع مساحات الربيع ، وملء كل فراغ ، ولا يهزمك تأخر مشروعك عن النجاح إذا كنت على الطريق فكذلك سنن الله تعالى ، ولو أنك قرأت قصة موسى عليه السلام وألقيت فيها بمشاعرك وعقلك لأدركت الطريق بوعي وتكوّن لديك الوعي الكافي لمستقبل الأيام فضلاً على أن تقرأ سيرة نبيك صلى الله عليه وسلم وتأخذ منها ما يعينك على مواصلة الطريق وتحقيق الكبرى في النهايات .

...

- وعلمتني : حاجة الدعاة والمصلحين والآباء والمربين رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً وأصحاب المشاريع والأفكار الناهضة عموماً إلى التسلية . إن الطريق شاق ومكلف ومزدحم بالعوارض والعقبات وصاحب المشروع قد يتعب ويجهد في أثناء الطريق وقد يواجهه اليأس ويعرض له الحزن والخوف ، وقد يُصاب بالملل من طول المسافة ولا يرى شيئاً يسد جوعة تلك الفاقة التي يبحث عما يسدها ، ولذلك كله كانت هذه النفوس بحاجة إلى تسلية وإعانة على مسافة طريق

الدعوة الطويل ومن هذا الباب جاءت قصة موسى عليه السلام ، وأنت كذلك كلما شعرت بضعف همتك وفتور طاقتك وذبول عزيمتك فشد قلبك ومشاعرك بأصحاب الهمم والمشاريع والجادين في الحياة حُمّال الأفكار الناهضة. والوحي طافح بذلك ، ومثل ذلك كتب التاريخ والسير الذاتية ، وقد تجد من المسموعات والمرئيات في وسائل التقنية الحديثة ما يبعث الأشواق في قلبك ألف مرة ، وإن ظفرت بصديق صادق الهمة قوي العزيمة في واقعك ومساحتك فيمم وجهك إليه وخذ منه ما يعينك على مواصلة الطريق .

...

- وعلمتني : أن إدبار الكبار والوجهاء وأصحاب الرياسات عن الدعوة شيء طبيعي وسنة جارية من فجر التاريخ إلى يومنا هذا (فكذب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى) وما صنعت الدعوة لفرعون حتى يتخذ منها هذه المواقف ويقعد لها في عرض الطريق ، ويقرر قتل كل مولود من أولاد بني إسرائيل ، ويستنفد كل طاقاته ومهاراته وإمكاناته في سبيل وأد الفكرة من أصلها وحجبها عن الظهور من البدايات ! ماله ولها وهي لم تأته بعد فضلاً أن تأخذ منه شيئاً ! وفي حديث هرقل لأبي سفيان رضي الله تعالى عنه : وسألتك اشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ! والدرس من هذا ألا تستنكر إدبار أحد من هؤلاء ! وكن على طريق الأنبياء واجهد بكل ما تملك أن تسقيهم من رحيقها العذب فليتهم دروا ما تحمل لهم ! كم مرة كانوا يظنون أن هذه الدعوة تسلبهم تلك الرياسات التي عاشوا عليها وفاتهم أنها تزيدهم بها رباطاً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان يوم احتاج إلى هذا المعنى (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)

...

- وعلمتني : أن من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يشتغل بالأسئلة النافعة في حياته وأن يدع وقته وفكره من أسئلة لا علاقة لها بالعمل في شيء ، إن سؤال هؤلاء (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) من قبيل الأسئلة التي لا تنتج عملاً ولا تصنع شيئاً وإنما هي تسلية وقت ، وما ينفعه إذا علم الساعة أنها اليوم أو غداً وهو يعرف أنها حق وأن ما بعدها أعظم من أن يتصوّره إنسان وأن الفزع إلى العمل والتطبيق أولى ألف مرة من أسئلة لا تنتج ثماراً عملية في مستقبل الأيام . ولذلك كان الجواب (فيم أنت من ذكراها) ! ليس من شأنك الإجابة على أسئلة هؤلاء ، حسبك أن تنذر أمتك وتبين لهم عن ما ينتظرهم وليس لك بعد ذلك شيء . وحين دخل الصحابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ أرشده صلى الله عليه وسلم إلى العمل والتطبيق فهو أنفع له من ألف سؤال من هذا المعنى (ماذا أعددت لها) ؟! إن من فقه الإنسان أن يركز على الأسئلة التي تثري ساحات العمل وتكتب حظها من التطبيق وتأتي على صاحبها بالخيرات وما عدا ذلك فغثاء يأخذ من أوقاتنا ولا يعطينا ما يستحق الحياة .

...

- وعلمتني : ضآلة هذه الحياة وضعفها وقلة قيمتها (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها)كم هم الذين عاشوا فيها سنين طويلة ثم في النهاية صاروا إلى الموت ! كثيرون يأتون يوم القيامة وقد عاشوا عشرات السنين وإذا بالحياة التي عاشوها كهذه الصورة التي يحكيها القرآن (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) لا فرق ! ليست يوماً ولا ليلة تامة وإنما هي ضحى يوم وعشة ليلة من الليالي ! ذهب ذلك الفراغ الطويل ولو عرف صاحبه هذا المعنى لجهد به في بناء تلك الدار ، وانتهت كل تلك الراحة الموهومة التي كان ينشدها كثيرون ولو دروا لصنعوا فيها كل شيء ،

وطوت الدنيا كل أيامها لتقف بصاحبها على أحداث النهايات التي ما كانت له على بال . كم هو الفرق بين مئة عام وبين لحظة من عشيّ أو ضحى ! ماذا لو أنك رأيت تلك اللحظة مفرطاً في زمانه ! وضائعاً في رسالته وهدفه! وموغلاً في الأماني وقد فات عليه كل شيء ! إن الدرس الأهم في هذا المعنى أن تستثمر كل لحظة ، وأن تجهد في بناء تلك الدار ، وأن تسعى بكل ما تملك أن تكون رقماً صعباً ومؤثراً في تلك اللحظات . وكل إنسان سيقف على عمله وجهده وتعبه ، ولن يبقى له من تلك السنين الطويلة إلا آثار العمل الصالح في الدارين .

..

- علمتني سورة عبس : أن القيم من أعظم المعاني التي جاء الشرع ببنائها وتأصيلها في نفوس العالمين ! وهذا العتاب من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في موقف تقديم كبار قريش على ابن أم مكتوم الأعمى درس في تأصيل هذه المفاهيم (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يتذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى) ولو أنك قرأت هذا النص بوعي لقام في قلبك إجلال هذا المعنى الذي يُقرأ على مسامع العالمين إلى قيام الساعة ، وكل ذلك لتأصيل قيمة واحدة من القيم الكبرى وهي أن المفاضلة بين الناس لا تتم على مكانة أو جاه أو سلطان وإنما تجري فصولها وفق دين الله تعالى دون النظر إلى شيء آخر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصنع ذلك لنفسه ، وإنما صنعه لصالح الدعوة والرسالة التي يحملها ، ومع ذلك لم يعذره الله تعالى ، وجاءه الخطاب موجهاً ويُقرأ في كتاب الله تعالى إلى قيام الساعة حتى تتأصل القيم في النفوس ولا تقف لزمن أو حادثة أو في مكان .

...

- وعلمتني : أن النقد وسيلة من وسائل النجاح وأداة مؤثرة من أدوات التصحيح ومن وعي كل إنسان أن يفرح به ويُسر ويدرك أنه من أعظم وسائل نجاحه ونحن هنا لسنا بصدد الإسرار أو النقد فإن هذه مسألة راجعة للمصلحة والأثر المترتب على ذلك ، وكل إنسان فقيه بحاله ومساحته وكيف تكون ! ولكن ننبه على أن النقد يعين صاحبه على بناء ذاته وتجاوز قصوره ويهيئه للمرحلة القادمة من حياته باقتدار ، ويبني لديه ملكات لا يمكن أن تأتي إلا من خلاله

، فإذا ما جاءك شيء من ذلك فمن حقك أن تفرح وتسعد به وتعتبره فرصة للصعود ، وسلماً للنجاح ، وله آداب مهمة ولا يصلح إلا لمن أوتي حظاً من العلم والفقه والأدب . ومن يسّر الله تعالى له صديقاً يتعاهده وناصحاً يأخذ بيديه وقريباً يدله على مواطن النجاح والإخفاق فقد توفّق لخير كبير ، فإن لم يجد من ذلك شيئاً في فلا أقل من أن يستنصح من يراه صادقاً قريباً منه عارفاً به حتى يعينه على الترقي في مستقبل الأيام .

...

- وعلمتني : أن وجود الأخطاء في مشروعك الذي تحمله وفكرتك التي تقوم بها وقضيتك التي تعيش من أجلها شيء طبيعي جداً فلا تثقلك الهموم عند سماع شيء من ذلك ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تولى الله تعالى تزكيته وتربيته و تأهيله لرسالته ومشروعه يخطئ ويقيّمه الله تعالى من خلال رسالة علنية فغيره من باب أولى ! إن جزءاً من مشكلاتنا أننا نريد أن نحمل أفكاراً ومفاهيم ونصنع تضحيات وفي الوقت ذاته غير متقبلين للأخطاء والنكسات التي تقع منا في ثنايا الطريق ، ونجد منها حرجاً يكاد يُفضي بنا إلى ترك أفكارنا ومفاهيمنا ومشاريعنا من أصله . ومن أراد لنفسه النجاح والتوفيق فعليه أن يؤمن بأن نجاحه القادم لا يقوم إلا على ركام الأخطاء التي يقع فيها وهي القاعدة التي يقف عليها كبيراً مدهشاً في مستقبل الأيام .

...

- وعلمتني : أن الهداية حق للجميع (كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره) بغض النظر عن جنس الإنسان ولونه وفقره وغناه ومكانته وموقعه ، ومن أقبل إليها صادقاً كان حقه منها أكمل ما يكون ، ومن أعرض عنها وأدبر عن أحداثها فلا قيمة له في شيء ، وحسبه أنه هو الذي رفض وأبى آثارها وتخلّف عنها ولا يظلم ربك أحداً . إن الدعوة ليست بحاجة إلى أحد مهما كان ذكاؤه

وتعددت مهاراته ، وتنوعت مجالاته بل هو في أمس الحاجة إليها ، وستظل منصورة بذاتها وتأخذ مساحتها كما أراد الله تعالى لها ، ويجب أن يُفقه أن الفقير المسكين المقبل على خيرات الدعوة خير لها وأفضل ألف مرة من كثير من الموهوبين وأصحاب القدرات والمسؤوليات الذين يأتون إليها وهم محملون بأمراض من الكبر والعلو والحسد فلا هم الذين دفعوا بها نحو أهدافها ، ولا هم الذين أسلموها من تلك الأمراض التي كانت بمنأى عنها . إن الفقير المسكين المعوق المقبل عليها والفَرِح بأحداثها في واقعه أعظم لها وأولى من غيره ولو كان الآخر يملك كل شيء .

...

- وعلمتني : أن المسؤولية فردية ، وأن كل إنسان مسؤول عن نجاحه وإخفاقه في النهايات . ولن يغني عن الإنسان أسرة أو قبيلة أو مجتمع من المجتمعات ، وإن كانت هذه المعاني تجدي عن أصحابها في الدنيا فهي لا تنفع في شيء بين يدي الله تعالى يوم القيامة (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) يجب أن نتعلم أن الأسرة ليست مسؤولة عن نجاحنا وإخفاقنا وإن كان لها دور ، ومثل ذلك المجتمعات التي نعيش فيها ، والأصحاب الذي نخالطهم ، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يأخذ حظه من العلم ، ويبني نفسه من خلال العمل الصالح ، ويستعد للقاء الله تعالى ، وليعلم أن المسألة جد وأنه سيأتي اليوم الذي تعرض فيه هذه السورة بعض مشاهده وأكثرها ألماً في سيرته وواقعه (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) رأي عين! ولو أن عاقلاً أمهل نفسه بعضاً من الوقت في تخيّل المشهد لأدرك ما يقال له اليوم قبل الفوات . والله المستعان .

...

- علمتني سورة التكوير : أن ثمة موعد للنهايات (علمت نفس ما أحضرت) وهذا العلم في يوم القيامة بعد أن عرضت السورة تلك الأحداث الكبرى (إذ الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . وإذ العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت . وإذا النفوس زوجت . وإذا الموؤدة سئلت . بأي ذنب قتلت . وإذا الصحف نشرت . وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سعرت . وإذا الجنة أزلفت) وما قارئ لهذه الأحداث التي يتبدل فيها كل شيء في الكون وتتغيّر معالمه ويصبح بين يدي الله تعالى للسؤال والحساب والجزاء ولديه قلب إلا استيقظ وعاد إلى الله تعالى ، ومن لم يجد شيئاً من ذلك فما لجرح بميت إيلام ! وهذه السورة من السورة المكية التي جاءت لتعيد بناء الإنسان وتشكّل تصوراته ، وتوقظ قلبه ومشاعره . ومن قرأ هذه المعاني وتأمل تلك الأحداث صنع لنفسه شيئاً قبل الفوات .

...

- وعلمتني : أن القرآن أعظم مصادر الحياة على الإطلاق ! ومن أقبل عليه وعى منه كل شيء ، وقد قال الله تعالى واصفاً شأنه (إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) وما قرأه متدبر إلا حيي من جديد ! وما حاجة الإنسان لشيء في هذا الزمن حاجته إلى ورد يتلوه ويتدبره . ولو أن كل إنسان قسم له من سنام يومه وأقبل عليه صادقاً ، وتدبر ما يتلوه وأجرى لما يقرأ عملاً لنفض عنه غبار الغفلة وشحذ همته وصنع لنفسه منزلاً بين الأحياء . ثمة أناس لا يدركون ما الذي يمكن أن يحدثه القرآن في حياتهم ، وآخرون يدركون ولكنهم لا يعرفون كيف يصلون ، وفريق ثالث يدرك ويعرف ولكنه لم يضعه في سُلّم أولوياته بعد ، ومن تأمل واقع اليوم رأى فيه

كل شيء إلا أنه خال في ذات الوقت من الطمأنينة واللذة واجتماع القلب وأدرك أن حاجته لكتاب الله تعالى تفوق كل حاجته ، وليس بين الإنسان وبين هذا المعنى الكبير إلا أن يبدأ ويستعين بكل ممكن على تحقيق تلك الأفراح في قلبه وسيحين موعد الربيع بإذن الله تعالى يوماً ما .

•

- وعلمتني : أن الجود من صفات الكبار ، وما رأيت مدهشاً في واقعه كطالب علم فتح الله تعالى له في هذا الباب وهو قائم بحقه من العمل باذل له في كل من حوله ، باسط آثاره في المساحات التي يعيش فيها فلله كم هي عوائد الخير عليه ! وكم من فواتح توفيق تأتيه وهو على سرير نومه من أثر ذلك المعنى الكبير ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس القوم وفي مقدمتهم وهذه شهادة الله تعالى له (وما هو على الغيب بضنين) وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم ولم يُنسب إليّ منه شيء. اه وهذا نوع من الجود يتجاوز بذله وإعطاءه إلى الفرح بما وصل الآخرين ، وفي المقابل كم من طالب علم في مساحة جهل لم تلق منه ما يفسح لها الربيع في واقعه! كم من طالب علم ووالديه أو أسرته تقع في أخطاء وتمارس سلوكات خاطئة ولم ينلهم شيء من حظوظه بعد! ، وليس الجود وقف على العلم بل في كل شيء ، وكم من صاحب مهارة ومال ومسؤولية وجاه وسلطان ، وقوة ، وملَكة يمكن أن يصنع منها ومن خلالها كل شيء .

- علمتني سورة الانفطار : أن الغفلة من أعظم الأخطار التي تواجه الإنسان في حياته ، وما تزال بصاحبها حتى تنسيه نفسه التي بين جنبيه وتضيع عليه مصالحه وتحرفه عن مقصده الكبير (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك) وإذا أردت أن تعرف قدر هذه الغفلة فانظر إلى إنسان خلقه الله تعالى وسواه وعدله وجعله في أحسن صورة وكرّمه وجعله مناط الرسالات ومع كل ذلك لا يلقي لربه تعالى بالاً ولا يُجل أمره ولا يعظّم شعائره ولا يقوم له بشيء من حقوقه ، ويعاتبه الله تعالى في هذه السورة عتاباً رقيقاً (ما غرك بربك الكريم)! ما الذي أنساك ربك الذي خلقك ! ما الذي ألقى في قلبك هذا الإعراض عن ربك الكريم ! من خلق وسوّى وعدّل وركّب أحسن الصور ما حقه هذا الإعراض ! ومن الوعي أن يتدارك الإنسان نفسه ويحميها من الغفلة بالإقبال على كتاب الله تعالى تلاوة وتدبراً وتأملاً ، ومثل ذلك سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأحاديث الوعد والوعيد والجنة والنار منها على وجه الخصوص ، ويتعاهد نفسه بشيء من المواعظ التي تجلو قلبه ، وسينجلي غبار هذه الغفلة بإذن الله تعالى مع مرور الأيام .

...

- وعلمتني : أن رقابة الله تعالى على كل ما يجري في حياتك الخاصة والعامة أمر لا يحتاج إلى براهين ، وفي قول الله تعالى (وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون) ما يبين عن ذلك المعنى الكبير ، فالأمر جد (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ولن يذهب شيء من العمل سدى ، وكل ما يجري في حياة إنسان مرصود ومكتوب ومحفوظ وسيأتي في يوم أحوج ما يكون فيه صاحبه إلى النسيان ، ولا يغرك أنك لا ترى أحداً حولك فلن يحميك

من تلك الرقابة شيء فكن أول العارفين بقدرة ربك وأول المستحين من ملائكته ، وليس من الحياء أن تعاقر محرماً والله تعالى يرقب تصرفك ، ويرى فعلك ، وملائكته تعالى تراك في ذات الوقت وترقبك وتدوّن عليك وتأتي يوم القيامة بكتابك وفيه ديون كنت منها في حل لولا هذه الغفلة التي غشت قلبك ومشاعرك ، وما حاجتنا اليوم إلى شيء حاجتنا للأدب مع الله تعالى في مثل هذه الأيام .

...

- علمتني سورة المطففين : أن التعامل مع الآخرين دين يتعبد به الإنسان لربه ويرقى به ومن خلاله لأعظم المنازل في الدارين ، وهذا الوعيد للمتخلفين عن هذا المعنى (ويل للمطففين) دليل هذا المعنى الكبير . التطفيف هنا ليس شيئاً خاصاً بالمكيال الحسي الذي توزن فيه أرزاق الناس ومأكولاتهم بل هو جار في كل تعامل تجريه مع أبويك وولدك وجارك وصديقك وكل من حولك ، وثمة خصام سافر بين الحقوق والواجبات ينتهي غالباً لصالح الحقوق ، وقل أن تجد فرداً يتنازل عن شيء من حقه في مقابل تخلّف متعمّد في أداء الواجبات . تعلمنا هذه السورة خطر التطفيف وهو أخذ حقوقنا مقابل التخلف عن واجباتنا ، وتدعونا أن نعتبر التعامل مع الآخرين دين كبقية شرائع الإسلام لا فرق وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) ، وقال صلى الله عليه وسلم (إن صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر) ، وقال صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله) وهي دعوة أن نعيد تصرفاتنا مع أزواجنا وأولادنا على وفق هذا المعنى الكبير ونُعد ذلك دين نتعبد الله تعالى ونعتبر أي نقص في تلك الواجبات هو نقص في ديننا وعبادتنا لله تعالى .

...

- وعلمتني : أن التنافس الكبير يجب أن يكون في غايات الآخرة ، وأن من وعي الإنسان وفقهه وكمال علمه أن يبلغ جهده من هذا المعنى حتى يأتي منه على أمانيه (إن الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فلتنافس المتنافسون) ومن قرأ هذا النعيم وأدرك ما ينتظره عند الله تعالى يوم القيامة علم

حاجته للعمل واستثماره لكل ممكن قبل الفوات . مشكلتنا اليوم أننا مشغولون بهذه الدنيا ، مقبلون عليها ، متنافسون فيها بصورة كبيرة وضخمة للدرجة التي كوّنت بيننا تهاجراً ، وتباغضاً ، وربما وصلت بكثيرين إلى القتل بينما تلك الدار التي يخبرنا الله تعالى فيها بالنعيم ويدلنا فيها على التنافس في أحداثها لم تأخذ حظها من قلوبنا بعد ! وواجب طلاب العلم والمثقفين كبير في إثارة مفاهيم النصر والهزيمة ، والربح والخسارة من خلال الوحي لا من خلال مصادر لا علاقة لها ببناء الحقائق الكبرى في نفوس العالمين فإن الناس في النهاية نتيجة لما تسمع وترى فيما يجري حولها من أحداث .

...

- وعلمتني : أن العبرة بالنهايات ! وأن كل صور الانتصار في الدنيا لا شيء بالنسبة لذلك الانتصار الكبير في الخواتيم (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون .هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) كم من أفراح دارت في الدنيا على انتصارات وهمية! وكم من أحداث بات يضحك فيها أهل الباطل بملئ أفواههم ثم هي في النهاية لا شيء . لا تنشغل بما تراه من واقع عدوك ، ولا يفت في عضدك تلك الانتصارات التي يحققها في مساحة من الأرض ، تحمّل أعباء طريقك ، وأثقال فكرتك ومشروعك ، وهموم قضيتك ، واصلح ما بينك وبين الله تعالى حتى تبلغ بها الآمال التي تنتظرها والأشواق التي ترجوها في الختام ، وما هي إلا فترات ويحين موعد النصر الكبير .

...

- علمتني سورة الانشقاق : أن التعب والكدح والعناء جزء من حياة كل إنسان ما دام في ساحات الدنيا (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كادح فملاقيه) لن تبلغ رضى ربك وجنته ومعارج التفوّق في حياتك ونجاحك في الدارين إلا من خلال هذا المعنى الكبير ، وستواجه عناء كبيراً وشاقاً في طاعتك وأورادك العبادية وستتحمل أثقال العبادة طويلاً حتى تجد أفراح ذلك في النهايات ، وفي المقابل ستعيش ذات الكدح والعناء والجهد في طريق شهواتك وأمانيك التي ليست على طريق الحق ، ولن يأتي لك منها شيء يسير البتة ، ولا تظنّن بأن هو عاكف على شهواته ، ويجري في فلك رغباته أنه سالم من عنائها وجهدها وتكاليفها وأثقالها فوطّن نفسك على هذا المعنى ، وأحسن إقبالك إلى الله تعالى ، وتحمّل أعباء الطريق وسترى غداً من أرباح جهدك ما لم يكن لك على بال ، قال تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حساباً يسيراً . وينقلب إلى أهل مسروراً) وفي المقابل عناء ذلك الضال إلى غير هدى ونهايته إلى ضلال (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبوراً . ويصلى سعيراً) وكم بين الفريقين من بون ! وكم هي المسافات بين أفراح النعيم وخواتيم السوء !

...

- وعلمتني : أن الحياة لا تدوم على حال ! وأن كل إنسان معرض للضعف والانتقال من حال لآخر حتى يأتي الموت (لتركبن طبقاً عن طبق) فستنتقلون من حال لآخر ، من الصغر إلى الكبر ، ومن الشباب إلى الشيخوخة ، ومن الصحة والعافية إلى المرض والقعود ، لن يدوم شبابك ، ولا صحتك ، ولا نشاطك ، ولا فراغك بل كل هذه ستجري عليها أحداث التغيير وستزول في النهاية ، وإذا كانت هذه هي الحقائق فمن كمال وعيك أن تستثمر هذه النعم

قبل زوالها ، وتغتنم كل فرصة قبل فواتها ، وتدرك أن كل تفريط يمضي من عمرك غير قابل للتعويض في مستقبل الأيام إلا أن يدرك الله تعالى برحمته ومثلك أوعى بالفقه ، فلتكن في مستوى الحدث فما كل نعمة باقية ! ولا كل فرصة لديها الاستعداد للانتظار !

...

- وعلمتني : أن خلل الرؤية أخطر ما يواجهك (بل الذين كفروا يكذبون) وكل ضياع عافانا الله وإياك إنما هو فرع عن خلل ذلك المعنى الكبير . إن أمم الأرض اليوم تعاني خللاً في رؤيتها وضبابية كبيرة جداً أفقدتها بوصلة الشمال وضاع منها في النهاية كل شيء . ولولا هذا الخلل الذي أصاب هؤلاء في أصل الرؤية لعرفوا لم خلقوا .؟ وإلى ماذا سيصيرون في النهايات ؟ وماذا ينتظر من أمة أو فرد لا ينتظر حساباً ولا يخاف من عقاب وإنما هي أشبه ما تكون بالأنعام كما قال الله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) ومن الفقه أن ندرك تلك الرؤية التي حددها الوحي (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ثم نجهد بكل ما نملك في ملء هذه المساحات بأحداث العمل والبناء ولا نتوقف حتى نلقى الله تعالى ونحن على الطريق .

...

- علمتني سورة البروج : مكانة المؤمن عند ربه تبارك وتعالى ، وحب الله تعالى لعباده المؤمنين ، وهذا القسم العظيم منه تعالى (والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قتل أصحاب الأخدود) دليل على مكانة أهل الإيمان (قتل أصحاب الأخدود) لُعن الذين شَقوا في الأرض حفراً وأوقدوا فيها النيران لتعذيب المؤمنين الصادقين ، يتوعدهم الله تعالى بالطرد من رحمته وأوجب عليهم الخذلان لأنهم آذوا عباده وامتحنوهم في دينهم وتولوا تعذيبهم بالنيران ، ومن عرف قدر هذا المعنى قام الله تعالى في قلبه ، وزاد تمسكه بدينه ومنهجه وأقبل راغباً مجلاً لشريعته وهو يشعر بروح العزة والجلال تهتف بمشاعره إلى أقصى مدى ممكن . ومن أنت حتى يقوم الله تعالى لك لولا هذا الإيمان الذي تجري معالمه في حياتك كل حين !

...

- وعلمتني : أن الابتلاء سنة إلاهية لا تتخلّف عن أصحاب الإيمان (قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود) وما لهؤلاء والعذاب بالنار ! مالهم ولأثقال هذا المعنى الكبير لولا أحداث الإيمان التي قامت في واقعهم حتى تلقاهم البلاء في عرض الطريق ، ومن قرأ الوحي أدرك أن البلاء سنة في حق أهل الإيمان كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (يبتلى الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة) أخرجه الترمذي وصححه الألباني ، وهذا

المعنى موجب للمؤمن ألا يتبرم مما يصيبه وأن يعلم أن هذه سنة الله تعالى ويتحمل كل قادم ويحتسب أجره عند الله تعالى ويعده من علامات حب الله تعالى له ، ويحسن التوكل عليه ، والصبر على ما أصابه حتى يحين موعد الفرج بإذن الله تعالى .

...

- وعلمتني : سعة رحمة الله تعالى وعفوه وصفحه عن المخطئين مهما كان ذنب الواحد من هؤلاء ، فإن هؤلاء حفروا الأخاديد للمؤمنين المساكين وألقوهم فيها وعذبوهم بالنار وصنعوا فيهم كل شماتة ومع ذلك يعرض الله تعالى عليهم التوبة قبل فوات أجلها (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) وأبان بعد ذلك عن صفته اللازمة له تعالى فقال (وهو الغفور الودود) ومن قرأ هذا الوعد بوعي أدرك أنه لا حد لرحمة الله تعالى ! وقد قال في كتابه (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً . إنه هو الغفور الرحيم) ، بل قال لأهل الكفر وقد صنعوا كل قبيح (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وهو درس نافع لكل مؤمن مهما كانت خطيئة أن ينيب إلى ربه تبارك وتعالى ، ويستعتب من ذنبه ، ويسأله ملحاً العفو والغفران لعل الله تعالى أن يقبله ويتوب عليه ويغفر له ويعيده عبداً صالحاً من جديد .

...

- وعلمتني : أن الله تعالى يمهل ولا يهمل ، ويمد لعدوه المعرض عن منهجه زمناً طويلاً ولكنه إذا أخذه لم يفلته (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) يخبر تعالى في هذه السورة عن صفة من صفاته ومعلم من معالم قوته وجبروته وأنه إذا بطش صنع كل شيء (إن بطش ربك لشديد) وإذا تأملت مصارع الأمم في التاريخ التي أجرى عليها بطشه عرفت ما ينتظر

الأعداء والمعرضين في مستقبل الأيام ، وقد أشار تعالى في ختام هذه السورة إلى ذلك فقال تعالى (هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود . بل الذين كفروا في تكذيب . والله من ورائهم محيط) وهي قصص تبين كيف أن الله تعالى إذا بطش بعدوه بطش بطْشَ جبار متكبر جل في علاه . وفي قول الله تعالى (والله من ورائهم محيط) ما ينبئك عن مطاردة الله تعالى وملاحقته لمسلسل الإعراض عنه وإحلال عقوبته بهم وجريان درس التاريخ عليهم كما جرى على من قبلهم لا فرق .

...

سورة الطارق

- علمتني سورة الطارق : كمال قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته ورقابته على كل ما يجري في الكون ، وهذا القسم العظيم بمخلوقاته تعالى (والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب) على ذلك المعنى (إن كل نفس لما عليها حافظ) وما من نفس في الدنيا من خلق آدم إلى قيام الساعة وإلا وعليها حافظ من الملائكة يدوّن كل شيء ويحفظ ذلك عنها حتى يوم القيامة لا يفوت منه شيء . ومن عرف أن كلمته التي يقولها ، وحرفه الذي يكتبه ، ورسالته التي يدونها ، ومشاركته التي يبعث بها وعمله في مساحة ما ، ودوره الذي يقوم به ستأتي مدونة مكتوبة ومضبوطة لا يفوت منها شيء عرف قدر الله تعالى وقام له بحقه وأجل شرعه وقام له بواجباته وصنع له كل شيء (إن كل نفس لما عليها حافظ) .

...

- وعلمتني : أن كل إنسان خلق من نطفة (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق) لا فرق بين أمير ووزير وعالم وجاهل وصغير وكبير ورجل وامرأة على حد سواء . ومعرفة هذا المعنى مؤثّرة في معرفة الإنسان لنفسه وإدراكه لواقعه ومؤذنه بإذن الله تعالى بتواضعه وقيامه بحقوق من حوله من العالمين . نسيان هذه القضية ولّد بين الناس تمايزاً على غير هدى الوحي وصنع فروقات من آثار الجاهلية ، وخلّف نزاعاً سافراً بين كثيرين في قضايا نسب وقبيلي وغير قبيلي، وخلق بين الناس نوعاً من الجاهليات باتت تأخذ حظها من نفوسهم وواقعهم مع الأيام ، ونشأ على إثر ذلك نزاعات كثيرة جداً أفضت إلى ضياع حقوق بعض هؤلاء وهم من أهل الإيمان ، وصار التعامل على أشياء من ظاهر الحياة وليس لها صلة بقيمها في شيء .

...

- وعلمتني : أن مدار الفوز والخسارة يوم القيامة على صلاح القلوب (يوم تبلى السرائر) واعظم الأعمال أثراً في حياة صاحبها ما جرى بها في فلك الإخلاص لله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا لالله مخلصين له الدين) ومن فقه هذا المعنى أقبل على قلبه وتعاهد نيته وصحح منها ما استطاع وكرّس جهده في سبيل تلك الغايات الكبرى وعلم علم اليقين أن المخلوقين لا ينفعون في شربة ماء فضلاً عن غيرها من الأحداث ، وفي الحديث (إنما الأعمال بالنيات) فلا تبرح هذا المعنى في كل جهد تذبله أو عمل تقوم به سواء كان عملاً أو تركاً وقد كان بعض سلفك يقول (إني لأحتسب نومتي كما أحتسب نومتي) . واعلم أن ما يجري في قلبك عليه مدار فلاحك وخسارتك ، وما تطويه نيتك سيؤثّر على ما يستقبلك ولن تنفعك الصور في شيء ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

...

- وعلمتني : أن الوحي عاصم من الضلال (إنه لقول فصل . وما هو بالهزل) ومن فقهك وكمال علمك أن ترُد إليه كل شيء صغر الأمر أو كبر ، جل أو حقر ! ونحن في زمن فتن ، وتموج في الأمة أفكار ومفاهيم وتصورات يراد بها تبديل وتغيير الدين وأدنى تهاون في هذه القضية مفض إلى ضياع مفاهيم ضخمة لدين الله تعالى . ولن يرد الأمة إلى رشدها ويعيد لها صحتها وعافيتها البدنية والمعنوية إلا عمل مرتب منظم يجري من خلال أفكار ومفاهيم وتصورات الوحي فحسب . ولو أن كل فرد منا رد كل ما يعرض له على الوحي وحاكمه إليه لعاش على نور وهدى ما بقيت الدنيا .

...

- وتعلمت منها : أن جهود الأعداء مهما بلغ شأنها وحجمها وأثرها الظاهري الكبير في الكون فهي إلى ضياع ! (إنهم يكيدون كيداً . وأكيد كيداً . فمهل الكافرين أملهم رويداً) فلا يغرك ما تراه منهم ، ولا يؤذي قلبك ما تسمع به من أخبار وأحداث فإنها وإن طال زمان أثرها ليأتين عليها زمان بالضياع. هذا هو وعد الله تعالى (إنهم يكيدون كيداً . وأكيد كيداً . فمهل الكافرين أملهم رويداً) ولن يخلف الله تعالى وعده . وإذا امتلأ قلبك من هذا الوعد وجرى في مشاعرك كان لزاماً أن تصدق في التزامك بمنهج الله تعالى ، وأن تقوم بحظوظ دينك ورأسك يطاول السماء ، وتقرر ألا تهزمك ظروف زمانك مهما كانت شدتها وغربتها وسيحين ذلك الوعد وترى بعينيك ما يجري الحياة في قلبك إلى أقصى مدى .

...

سورة الأعلى

- علمتني سورة الأعلى : أن من كمال توفيق الله تعالى لعبده أن يرزقه إجلاله وتعظيمه والقيام بحقه ، وتنزيهه عن النقائص قال تعالى (سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدّر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى) فهذا الكون بجماداته وحيواناته وطيره وحشراته دليل قدرته تعالى ، وقد قال (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فردنا في الكتاب من شيء) وحق هذا المعنى الكبير الإجلال والعظيم والتنزيه ، ومن تأمل هذا الإبداع في خلقه تعالى أدرك ما لربه عليه من حق وقام له بكل واجب وصنع له كل شيء .

...

- وعلمتني : أن حظوظ الداعية إلى الله تعالى كبيرة وضخمة (فذكّر إن نفعت الذكرى . سيذكّر من يخشى) وحق هذا المعنى (سيذكّر من يخشى) أن يقع في شغاف قلبك ومشاعرك سواء كنت أباً أو معلماً أو زوجاً أو مربياً في أي مساحة من الأرض ، وهي بشارة على أن كلمتك ستبلغ موقعها من قلوب السامعين يوماً ما خاصة تلك المواعظ التي تجل الوحي وتعتني به وتجعله هو الوسيلة الضخمة لإقناع الآخرين بدين الله تعالى . وهي نافذة في المقابل تُطل بك على الأمل . وكم من أحداث وأخبار من آثار الدعوة على أصحابها بعد طول زمان ! قال أحدهم دُعيت للقاء وقد تعنيت في السفر وحين ألقيت كلمتي صاحبها فوضى وضعف ترتيب وعدم عناية حتى تمنيت وأنا ألقي أنني لم أجب هذه الدعوة وكنت أبحث عن الخلاص بكل طريق وحين فرغت من محاضرتي خرجت وبي من الأسف على ما حصل واعتبرت ذلك نوع من ضياع الوقت ، وسافرت وفي أثناء نزولي من الطائرة إذا بمتصل يقول لي كنت عندنا

قبل قليل وأبشرك بأنني قررت أن أغيّر واقعي وابدأ حياة جديدة . وكم من خبر مدهش كان أقرب ما يكون ! وكم من سامع للموعظة رد بعد طول غياب ! وكم من كلمة ودور وجهد صنع لصاحبه كل شيء ! يجب أن نؤدي أدوارنا ونملأ مساحاتنا ونحن موقنين بهذا الوعد العظيم (سيذكّر من يخشى) طال زمان تلك الذكرى أو قرب ، بعد أو قصر لا فرق .

...

- وعلمتني : أن من أكبر المشكلات التي تواجه عالم اليوم الانشغال بالفانية على حساب الباقية (بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى) كثيرون اليوم يسيطر عليهم التفكير في الدنيا لدرجة أنه لم يبقوا للآخرة شيئاً ، وثمة نجاحات كبيرة في قضايا الدنيا ولكنها في مرات كثيرة على حساب تلك الدار. ومن آثار هذا المعنى من يتاجر وينافس بقوة ويعرف كل شيء عن إدارة المال والإبداع في زيادته وهو في ذات الوقت لا يعتني بأمر آخرته في شيء فقد يجمع من حرام ، أو ربا ، أو غش ثم لا ينظر إلا إلى تلك الزيادات التي يكاثر بها حسابه ، وفي المقابل قد يكون حريصاً على جمع الأموال ومتفنناً في جمعها ومن طرق مباحة ولكنها تبقى مكدّسة عن الإنفاق في سبيل الله تعالى فيبقى أشقى من يكون بذلك المال . ومن فقه آخرته وما أعد الله تعالى له في تلك الدار صنع لنفسه شيئاً وأقبل عازماً صادقاً وخلّف الدنيا وراء ظهره وكتب حظه أوفى ما يكون في الدارين .

...

- علمتني سورة الغاشية : أن من أراد بناء مستقبله بوعي فعليه أن يبدأ من خلال الوحي ، وهذه النهايات التي تكشفها سورة الغاشية للمهتدين والضالين واحدة من تفاصيل تلك الهداية التي يملكها الوحي ، ومن تأمل هذه النهايات التي يسردها الوحي للضائعين (هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى ناراً حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام إلا من ضريع . لا يسمن ولا يغني من جوع) عرف ما ينتظر كل إنسان في النهايات ! تعرض لنا السورة حال المفرطين في صناعة مستقبلهم الضائعين في النهايات وتحكي لنا حالهم في النار : وجوه خاشعة ذليلة متعبة مجهدة مكبلة بالسلاسل ومقيدة بالأغلاق وفي نار جهنم ، يشربون من عين بلغ ماؤها غايته في الحرارة ، ويأكلون أخبث الطعام وأنتنه لا يسد جوعاً ولا يسمن من شيء. وتعرض لنا في المقابل تلك الأفراح التي تتهادى إلى قلوب الفائزين الناجحين (وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية . في جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابي مبثوثة) وما قارئ لهذه الأحداث إلا آخذ منها العبر !

...

- وعلمتني : أن التفكر في مخلوقات الله تعالى وسيلة من وسائل الهداية إلى الله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت) ومن أعطى هذا الخلق بعض وقته وتفكيره دله على الله تعالى من أقرب الطرق ! وهذه الوسيلة إحدى وسائل التعرف على الله تعالى وتعظيمه وإجلاله ، وقد دلنا الله تعالى في جملة آيات من كتابه تعالى على التفكر والتدبر في شأن هذا الخلق ، وكم من متعظ

بمشهد واحد من تلك المشاهد ! وكم من معرض وقد رأى ألف مشهد ، وما صنع في قلبه شيء من الذكرى !

...

- وعلمتني : أن مسؤولية الداعي إلى الله تعالى إيضاح الحق بدليله وبراهينه ووسائله الممكنة والفاعلة في ذات الوقت ، وما عدا ذلك فمرده إلى الله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وحسب الداعية بذل الممكن وحركته الفاعلة في واقعه وجهده في سبيل إبلاغ دين الله تعالى بكل طريق وألا يدخر جهداً سواء في تأهيل نفسه وإعدادها لهذه المهمة الضخمة أو في اختيار الطريق الأمثل لوصول هذه المعاني إلى قلوب المدعوين ثم ليس له بعد ذلك من شيء . إن مهمة الداعية سواء كان أباً في بيته أو زوجاً مع زوجه أو معلماً في مدرسته وحلقته أو إمام مسجد ، أو مربياً في محضن من المحاضن إيصال مفاهيم الوحي بأنجح الطرق والأساليب ثم يترك ما بقي لربه تعالى (فذكّر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) ونخطئ في مرات كثيرة جداً حين نحسب عوائدنا من هذه الدعوة ، ونجهد في معرفة الثمار ومن كان حريصاً على ذلك أوشك أن يقعد عن العمل ولو بعد حين

- علمتني سورة الفجر : أن غالب صور الفساد التي تجري في المجتمعات تستمد تصوراتها من أمراض ثلاثة (القوة ، والسلطان ، والمال) وما يجري من بغي وطغيان في حياة الأفراد فضلاً عن الجماعات والأمم إنما هو أثر لتلك الأمراض! وشواهد هذا المعنى كثيرة ومتعددة في التاريخ الماضي والحاضر على حد سواء ومن تأمل التاريخ وقرأ الوحي وجد أن كل طغيان من الأفراد أو الجماعات سببه وموقد فتيل الفوضى فيه هي هذه القوى الثلاث ، وما قصة أقوام الكفر التي جاءت في كتاب الله تعالى من الأمم السابقة إلا بعضاً من ذلك ، وقد قال الله تعالى في معرض ذكر عاد (فأما عاد فاستكبروا في الأرض وقالوا من أشد منا قوة) وفرعون قال في معرض الاستبداد (أنا ربكم الأعلى) متكئاً على تلك القوى التي أمده الله تعالى بها ، وقارون حين كثرت خزائنه قال (إنما أوتيته على علم عندي) وما زالت بهم حتى جعلتهم عظة وذكرى للمعتبرين!. ومن فقهك أن تعرف أثر نعم الله تعالى عليك ، وتستثمر كل ما آتاك الله تعالى في عبادته ، ونصر دينه ومنهجه ، ثم لا يفتك أن تنقّب عن أمراضك وأخطائك ودخائل نفسك وتحرص على علاجها حتى لا تتفشّى مع الأيام وتكون عقبة في طريق فلاحك في الدارين .

....

- وعلمتني : أن لله تعالى عادة مضطردة لا تتخلّف وسنة إلهية لا تتأخر وهي أنه تعالى يُمهل كل معارض ، ويمد له في الأمد ، ولا يعاجله بالعقوبة حتى إذا ما أخذ حظه من العبرة والذكرى ورفض أن يلوي عنقه للحق أخذه أخذ عزيز مقتدر وجعله عبرة وذكرى للعالمين ، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات والأمم لا فرق . ترى ذلك في قول الله تعالى (فصب عليهم ربك

سوط عذاب) بعد أن أخذت عاد وثمود وفرعون حظها من الفرص وقامت عليها العظة واستنفدت كل سبل الذكرى ومع كل ذلك لم يبالوا (فأكثروا فيها الفساد) فكانت عواقب السوء في النهايات (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ثم قال الله تعالى محذراً ومذكراً ومنبهاً أن السنة جارية في حق كل من سار على ذات الطريق وصنع ذات البدايات (إن ربك لبالمرصاد) !

...

- وعلمتني : أن فساد التصورات أسوأ ما يواجه الإنسان (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن . وإذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول رب أهانن) رأى هؤلاء أن زيادة المال ونقصه دليل على رضا الله تعالى أو سخطه ، ومتى كانت زيادة المال أو قلته دليل على رضا الله تعالى أو سخطه! ولكن هكذا يصنع فساد التصورات . ومسألة التصورات في غاية الخطورة ، ومن الوعي أن يجهد الإنسان في بناء التصورات الصحيحة في حياته ، ويحذر غاية الحذر من نشوء أوهام لا علاقة لها بالحقائق في شيء ، ومن أراد أن يبني تصوراته بصورة صحيحة فلا يبرح الوحي (قرآناً وسنة) وسيجد في النهاية كل شيء . وثمة قضايا ضخمة في تفكير الإنسان دخلها الفساد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو أصدقاء سوء أو مواقع مشبوهة سواء كانت في دين الإنسان أو فقهه عن الحياة أو تعامله مع الآخرين أو نظرته للواقع وكل هذه الجوانب ما لم تُعرض على خارطة الوحي سيكون صاحبها عرضها للضلال مع مرور الأيام .

...

- وعلمتني : أن بناء مستقبلك الكبير لا يأتي من خلال أماني وإنما يحتاج إلى عمل وجهد كبير يناسب تلك الأماني التي تتوق إلى إحداثها. لقد حكت سورة الفجر جملة من الأماني لأصحابها ولكن بعد الفوات ! (وجيء يومئذ

بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى . يقول يا ليتني قدمت لحياتي)
وما تنفع الأماني بعد الفوات ! وما تصنع لصاحبها وقد أضاع كل شيء . كم
هي الفرص التي تعرض لإنسان في الدنيا وقد تفوت بلا عودة! الشباب والفراغ
والصحة والوظيفة والمكانة وبسط الرزق وجملة من المهارات والإمكانات
والطاقات التي تجري في حياة كثيرين لم تستوعب بشكل أمثل وربما يفوت
استثمارها على كثيرين وكان يمكن للواحد أن يصنع منها كل شيء ، بل الحياة
في ذاتها فرصة ضخمة لصناعة آمال الآخرة بأوسع ما يكون لو أدرك صاحب
وعي .

- علمتني سورة البلد : أن جنس الإنسان مخلوق في كبد وعناء ومشقة ، وهذا القسم من ربك بمخلوقاته (لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد) على تقرير هذه القضية (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ! ومعرفة هذا المعنى مفض بصاحبه إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار ، وكم من متحسّر على واقعه يحسب أن غيره في لذائذ لا ينفك عنها وفاته أن هذا الأصل يجري في حياة كل إنسان بحسبه . مشكلة كثيرين اليوم أنه يفوتهم هذا الوعي الذي تقرره السورة ويفوتهم بذلك كثير من الاستقرار والطمأنينة حين يرون بأن غيرهم يعيش في أحلامه ويجري في فلك سعادته وليس لديه ما يواجهه من شقاء وهم يعيشون في نكباتها ويجدون من مضها وألمها ما يجدون ! وليس الأمر كذلك وكل في فلكه يجده منها ما يجد غيره لا فرق ، وإذا كان الأمر كذلك فمن كمال عقلك ووعيك أن تخلّي بينك وبين قلبك ، وأن ترى الحياة من هذا المنظار وتفرح بكل ما تجده في عرض الطريق ، وتحمد الله تعالى على ما آتاك وتعلم يقيناً أن الله تعالى حجب عنك ما فيه مضرة عليك أو ليس من مصلحتك وحالك بدونه أفضل وأجمل وأسلم لك في العواقب مع الأيام وتحمد الله تعالى على كل حال .

...

- وعلمتني : خطر الأوهام في حياة الناس ، وأنها قاعدة كثير من الأخطاء والإخفاقات التي يواجهها الإنسان في حياته كصورة هذا الذي يسيء في حق ربه تبارك وتعالى ويظن أنه في منأى عن ربه وبمعزل عن رقابته فيجري في فلك الحياة كما يشاء (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد . يقول أهلكت مالاً لبداً . أيحسب أن لم يره أحد) بلغت به الأوهام للدرجة التي يفضي فيها إلى محارم

الله تعالى ويظن أنه لا رقيب ولا حسيب على ما يفعله ، بل لا قدرة لله تعالى عليه ، ويعبث بأمواله في معاصي ربه ويظن وهماً كذلك أنه يتصرف بعيداً عن علم الله تعالى ورقابته ، وفاته أن الله تعالى يرى كل شيء ويرصد له كل حركة ولا يتخلف عن علم الله تعالى في شيء ولكن يُجري عليه السنن وهو في غفلة من شأنه . كم من إنسان يعارض حكم الله تعالى ويقف في وجه دينه ومنهجه وتتأخر عقوبته ويظن أنه في الطريق الصحيح وقد أوشك على الهلاك ! وكم من إنسان يتخلف عن واجباته ويسيطر عليه وهم بأن الأمر في ذلك بسيط ولا يتطلب هذا القلق وقد شارف على الضياع ! فضلاً عن كثيرين تجري الأوهام في حياتهم في كل شيء ويظنون أنهم على الحقائق في كل شيء.

...

- وعلمتني : أن نعم الله تعالى على الإنسان كثيرة ومتنوعة وهي أحوج ما تكون إلى شكر وإجلال (ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفتين . وهديناه النجدين) وقال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولو لم يكن من ذلك إلا هذا البصر الذي ترى به كل شيء ، وكم من أعمى يضيع في الطريق ألف مرة ، ويشتهي أن يرى ولو للحظة ! فضلاً عن هذا اللسان الذي يفصح به عن شهواته وملذاته واحتياجاته ، وكم من أبكم يحتاج إلى زمن ليوصل لك رسالة ويبين لك عن حاجه وقد لا ينجح في شيء من ذلك ويعود وقد جرى في قلبه ألف أسى ! إن من فقه صاحب النعمة وكمال وعيه أن يتعرف على هذه النعم ويجهد في توظيفها التوظيف الأمثل ويتقوّى بها على طاعة الله تعالى ويحذر غاية الحذر أن تكون جزءاً من ظلام أو عوناً على رذيلة في يوم من الأيام .
- وعلمتني : أن التكاتف والتعاضد والتناصر والتحاض على فضائل الأمور سيما المجتمعات الناهضة (فلا أقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة

. أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيماً ذا مقربة . أو مسكيناً ذا متربة) وفي البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين) وأشار بأصبعيه السبابة والإبهام . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى ، أو القائم الليل الصائم النهار) وهذه المعاني من فروض الكفايات التي لا يجوز للأمة تركها البتة . وحضارة الأمة مرهونة بالتعاون في مثل هذه الجوانب وسد فقر هذه الفئات وإعانتها على الحياة الكريمة والتعاضد معها والتناصر حتى تستغني بذاتها يوماً من الدهر.

- علمتني سورة الشمس : أن النجاح والإخفاق مسؤوليتك الشخصية ، وقد خلق الله تعالى الإنسان وزوّده بكافة الطاقات والقدرات والإمكانات وألهمه كل شيء ومكنه من طريق الخير والشر وجعل له القرار في كل ذلك كما قال تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) وهو ذاته الذي يختار طريقه بنفسه ويقرر ما يريد أن يكون في النهاية ، وقد بعث الله تعالى له أعظم رسله ، وأنزل عليه أعظم كتبه ، وهذا المعنى كافٍ ببعث روح الأمل في حياتك فليس بينك وبين أمانيك سوى القرار . جزء من مشكلاتنا اليوم أننا نعاني أزمة ثقة في ما ملّكنا الله تعالى من قدرات ومهارات وقرارات ونظل نشكك في كل هذه المعطيات ولدينا قناعات تأصلت من زمن أن النجاح محدود والبيئات لا تساعد على ذلك النجاح وستظل كل الأماني التي نرقبها مجرد أوهام لا واقع لها مع الأيام ومن تأمل هذا المعنى الكبير في هذه السورة (فألهمها فجورها وتقواها) أدرك أنه مسؤول عن كل قرار يتخذه وكل تصرف يتصرفه وكل حركة يفعلها لأنه يملك كل شيء .

...

- وعلمتني : أن الفلاح كل الفلاح في طاعة الله تعالى ، وأن من أقبل على ربه تعالى صادقاً ألقى الله تعالى في قلبه الحياة (قد أفلح من زكاها) وأن هذه الدنيا دار اختبار وامتحان والفائز فيها من استثمرها في الطريق إلى الله تعالى وهذا الفلاح الذي تشير إليه الآية (قد أفلح من زكاها) صناعة شخصية في مقدور كل إنسان وليس دونه شيء . فآمن أنك قادر على صناعة واقعك وكن في مستوى الحدث ، وتذكر بلال الحبشي الفقير المسكين الذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سمع قرع نعاله في الجنان و ما زال في الدنيا ،

ومثله تلك المرأة التي اشتاقت للجنان فرضيت بالمرض وبقيت تعيش الصرع طول تلك الفترة التي عاشتها في انتظار تلك الأمنية الكبرى (وإن شئتِ صبرت ولك الجنة) وابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه عاتب الله تعالى فيه رسوله صلى الله عليه وسلم لمجرد أنه عبس في وجهه وهو لم يره أصلاً ، فأفق قبل فوات الفرص ، وتذكر أنه ليس في مقابل ذلك إلا الفشل والحرمان والضياع (وقد خاب من دسّاها) خاب في الدارين فلا هو الذي حصّل شيئاً يسعده ، ولا هو الذي وجد شيئاً يستحق الفرح في آخرته .

...

- وعلمتني : أن العيش للأفكار الناهضة والمشاريع الضخمة والقضايا الكبرى لا تصلح إلا لأمثالك ، ومن الغبن أن تعيش في مساحة ما ثم لا تكتب فيها حدثاً ، ولا تشعل فيها فتيلاً يبدد الظلام ، ولا تصنع فيها ربيعاً مورقاً مع الأيام . تعرض لك سورة الشمس قصة ذلك المشؤوم الذي حمل فكرة باطلة ، وتحمل أعباء مشروع الضلال ، وناضل من أجل الخذلان (إذا انبعث أشقاها) وهو قدّار بن سالف الذي أبى إلا أن يكون مسؤولاً أولاً عن الضياع وتجري على ظهره أثقال العدوان إلى يوم القيامة ! أفيكون هذا المشؤوم أقدر منك على حمل الفكرة وتحمل تبعات المشروع والنضال من أجل قضيته التي يؤمن بها وأنت على الطريق وصاحب المنهج وأولى بصناعة شجون النجاح ما زلت واقفاً متردداً ! إن من الفقه وكمال الوعي أن يعي الإنسان دوره ويهيء نفسه ويتأهل لصناعة مستقبله من خلال تبني الأفكار الجادة والمبادرات الكبيرة التي يصنع بها لنفسه النجاح في الدارين . وقل مثل ذلك في المجتمعات التي يجب أن تتآزر على الفضيلة وتقوم بدورها الكبير في الإصلاح وتشارك في مد أحداث الفضيلة في واقعها ومن الغبن أن تعي ثمود دور التعاون في الظلم

والعدوان (كذبت ثمود بطغواها) ولا يعي مجتمع من مجتمعات المسلمين دوره الكبير في بناء الإصلاح والفضيلة .

...

- وعلمتني : خطر الذنوب على صاحبها فإنها ما زالت بقبيلة ثمود حتى حل عليهم غضب الله تعالى وسخطه (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) وردّ سبب ذلك العذاب إلى ذنوبهم وأنها سبب ما حصل لهم من نهايات السوء نعوذ الله من الخذلان . وكم من معصية أضاعت مشروع صاحبها ! وكم من معصية ألقت في بيت صاحبها الخلاف والنزاع والفوضى ! وكم من معصية أفلس صاحبها بسببها وأصبح ينوء بالديون بعد العافية منها ! وآثارها أكبر من ذلك بكثير غير أن غبارها لا يثور من ذلك الحين وقد تتحسس أثرها فلا ترى له واقعاً وإذا به مع الأيام يسرق منك كل شيء حتى تحل بك النكبات بعد نسيان . والله المستعان ! فلا يغرك تأخر عواقب الذنب فكم من متأخر جاء بأسوأ العواقب والنكبات .

- علمتني سورة الليل : أن اختلاف النتائج في الدارين وقف على اختلاف العمل (إن سعيكم لشتى) كم هم الذين يدركون هذه الحقيقة ! وكم هم الذين يتفاعلون معها ! وعلى قدر هذا العمل ستكون نتائج الختام ، ولهذا المعنى تجد في كتاب الله تعالى (وسابقوا) ، (وسارعوا) ، (فاستبقوا الخيرات) وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن أهل الجنة يتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والغرب لتفاضل ما بينهم) قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) ومن هذا الباب كانت تلك الأجيال التي عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تستشعر هذا المعنى وتبذل في سبيله كل ممكن حتى قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه (وهل على أحد من حرج أن يدخل من أبواب الجنة الثمانية كلها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (لا ، وأرجو يا أبا بكر أن تُدعى من أبواب الجنة الثمانية كلها) ، واهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وعمره في الإسلام ست سنوات ، وأنفق عثمان رضي الله عنه ماله حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) فكن واعياً بقدر زمانك وإن استطعت ألا يسبقك أحد الجنة فافعل فتلك هي صنائع الكبار .

...

- وعلمتني : أن نجاح الإنسان وتحقيق آماله وقف على الخطوة الأولى . ومثل ذلك إخفاقه وفشله وقف على ذات المعنى ، قال تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) فهذا الذي بذل وبادر وقام إلى صناعة واقعه متفائلاً كانت النهاية له (فسنيسره لليسرى) اليسرى في قلبه ومشاعره ، واليسرى في بيته

وزوجه وولده ، واليسرى في عمله وفكرته ومشروعه ، واليسرى في ماله وراتبه ، واليسرى في كل شيء من حياته . والآخر الذي رفض فكرة الخطوة الأولى وقعد ينتظر غيث السماء دون جهد وعناء حكى الله تعالى واقعه وبيّن حاله ونهايته (وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى) فالنتيجة التي تنتظره (فسنيسره للعسرى) العسرى في قلبه ومشاعره ، والعسرى في بيته وزوجه وولده ، والعسرى في عمله وفكرته ومشروعه ، والعسرى في ماله وراتبه ، والعسرى في كل شيء من حياته. والدرس الكبير أنك أنت من تصنع ربيع أيامك ، وأنت في ذات الوقت من يقف دون تلك الأماني الكبار . وكم من خطوة فتحت أبواباً للأمل ! وصنعت فألاً في واقعك ! وكمن من خطوة بددت نعماً ، وأثارت مشكلات ، وصنعت واقعاً بئيساً في حياة صاحبها زمناً من الدهر!

...

- وعلمتني : أن من فقه الإنسان وكمال وعيه أن تكون قدراته وطاقاته ومهاراته وإمكاناته في سبيل دينه ومنهجه وعقيدته ، ومالم تكن في ذلك الطريق فهي دليل شقاء صاحبه وضياعه في الدارين (وما يغني عنه ماله إذا تردى) وما يصنع لك عقلك وفكرك ومالك ومهارتك وقدراتك إذا لم تكن في الطريق إلى الله تعالى ! كان هذا يملك مالاً ولكنه عاش شحيحاً به فلا يصنع له يوم القيامة موقعاً ، ولا يدفع عنه في تلك المواقف شيئاً . كم من مال وقدرات ومهارات وإمكانات كانت الحياة الكبرى لصاحبها ! وكم من مال وقدرات ومهارات وإمكانات في المقابل كانت ضياعاً وفوضى ! كم هي عوائد الوعي على أبي بكر رضي الله عنه ! وعوائد المال على عثمان رضي الله عنه ! وعوائد العلم على معاذ رضي الله عنه ! وعوائد كتاب الله تعالى على أبيّ رضي الله عنه ! وكم هي في المقابل عوائد المسؤولية والمال على أبي جهل وأبي لهب وآخرين ذهبوا رغم كل ما يملكون حطباً للنار ، والله المستعان ! تعرف على

ما تملك من ثروات ضخمة ثم ابلغ جهدك في بناء صرحك بها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً والله يتولانا وإياك في الدارين .

...

- وعلمتني : أن الإخلاص لله تعالى أعظم الأعمال بل هو لبها وروحها وأثرها في الدارين ! وهذا الثناء العاطر على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والذي حوّل ماله وكل شيء من حياته لصالح دينه ومنهجه لا يبتغي بذلك ثناءً من أحد من العالمين (وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتي ماله يتزكى . وما لا أحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) وتأتي النهايات بهذه النتائج الضخمة (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ومن أراد الله تعالى خالصاً جرت له أحداث الحياة كما يشاء . وشأن الإخلاص عظيم ، والرياء أخطر الأمراض وأضرها على عملك في الدارين ، وفي الحديث أن أول ثلاثة تسعّر بهم نار جهنم يوم القيامة (المجاهد ، وحافظ القرآن ، والمتصدق) وكل ذلك لأنهم أرادوا بهذه الأعمال عاجل الحياة وفاتهم رجاء ما عند الله تعالى . ومن فقهك وكمال وعيك أن تتخلّص من شوائب دنياك وأن تقبل على الله تعالى في عملك ، وألا ترجو أحداً من العالمين في شيء وعملك أثمن من أن يذهب سدى لعارض الرياء .

- علمتني سورة الضحى : حب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ورعايته له ترى ذلك من خلال هذه السورة الخالصة له صلى الله عليه وسلم يخبره الله تعالى فيها بأنه يرعى مشاعره ويواجه الباطل عنه ويذود عنه أعداءه من حوله ويسليه بما أعد له في الدارين (والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى) وهي دعوة لكل مؤمن أن يسلك ذات الطريق ليلقى في النهاية ذات النعيم وتجري عليه ذات الأحداث . إن حاجة الإنسان إلى ربه فوق كل حاجة ولكن بلوغ آماله من تلك الحاجة لا يأتي بالأماني وإنما تحتاج إلى جهد وعناء حتى تبلغ بصاحبها إلى ما يريد ، وقد أبانت السورة كيف أن الله تعالى إذا رضي على إنسان أعطاه ! وإذا أعطاه أدهشه بذلك العطاء!

...

- وعلمتني : أن الرد على الأقاويل الباطلة والحجج الواهية والمقالات الكاذبة جزء من منهج القرآن . لقد تولى الله تعالى دحض حجج المكذبين الضالين والمفترين على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) كما في الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال اشتكى صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت يا محمد : إني لأرجو أن شيطانك تركك لم أره قربَك منذ ليلتين أو ثلاثاً ، فسلاه الله تعالى بهذه السورة التي سَلّت كل عناء وألم من قلبه وألقت به للأفراح ، ولا يقوم الحق في مرات كثيرة إلا على دحض شبه أهل الباطل وتقويضها من الأصل وردمها على هامة صاحبها ! ونحن في زمن انتشرت فيه الشبه وكلام أهل الباطل والأوهام ويحاول العدو جاهداً في هدم تصورات الحق وإبدالها

بتصورات الباطل والحاجة ملحة إلى طلاب علم ينقضون تلك الحجج ويبنون للإسلام عروشاً للمجد من خلال ذلك على ألا تكون هي الأصل أو تأخذ أكبر من حجمها وألا ينشغل بها الإنسان عن إدارة أولوياته الكبرى في الحياة.

...

- وعلمتني : أن من وعي المؤمن تذكّر الماضي والاستفادة من توظيفه في مستقبل الأيام ، حين امتن الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (ما ودعك ربك وما قلى) ذكّره بما منّ الله تعالى عليه في سالف دهره وأول أيامه بقوله تعالى (ألم يجدك يتيماً فآوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى) وهذا المعنى مهم ومؤثّر في بناء الإنسان لذاته وعنايته ببناء مستقبله وذكّره الله تعالى بما يجري في مستقبله بناء على ماضيه الذي عاشه (فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر) كأنه يقول له لقد عشت هذه المعاني وجرت في أيامك الأول ومن فقهك أن تبقى على خاطرك فإن ذلك أبلغ في تحقيق رسالتك وبلوغ آمالك مع الآخرين ، وكان كذلك صلى الله عليه وسلم في تعامله مع كل هؤلاء دون استثناء . وكل إنسان مسؤول عن تذكّر الماضي بالدرجة التي توقظه لبناء مستقبله لا التي تعيقه وتسهم في تخلفه مع الأيام .

...

- وعلمتني : أن الحديث عن نعم الله تعالى من باب الشكر كمال وعي ، لقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحدّث بنعمه عليه من باب الشكر وإجلال النعم والقيام بحقها وتوظيفها التوظيف الأمثل في حياته وليس من باب الامتنان الشخصي لذاته ، وهذا فقه وكمال وعي وكلما أفضى بك الحديث عن نعم الله تعالى إلى إجلالها وتعظيمها وعدم نسيانها ورُزقت خشية وإخباتاً وصدقاً مع ربك تعالى كانت أدعى لتدلي الثمار قبل أوانها ، وتحذر في المقابل أن تجري على لسانك صورة وشكلاً وقلبك منطو على أن ذلك

دليل قدرتك وتفوقك وتميزك على من حولك فإن ذلك باب سوء مثلك أوعى أن يجري بك الشيطان في فلكه يوماً ما ، وإياك المهلكات الثلاث (أنا ، لي ، وعندي) فمثلك أوعى أن تجري في فلكها وقد ذهب أصحابها عبرة في التاريخ .

...

سورة الشرح

- علمتني سورة الشرح : عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ترى ذلك من خلال شرحه لصدره ، ووضع أوزاره عنه ، ورفع ذكره (ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك) وما ذا بقي له صلى الله عليه وسلم بعد هذا اللطف والرعاية والإكرام التي لقيها صلى الله عليه وسلم من ربه تبارك وتعالى ، فالله تعالى إذا أعطى أدهش ! وإذا رضي على إنسان أعطاه كل شيء ! وفتح له أبواباً من النعيم لا تغلق مدى الحياة ! ومن أراد هذه المعاني فليحسن صلته بالله تعالى ، وليصدق في الطريق إليه ، وليحسن الإقبال عليه وستجري عليه ذات المعاني ، وسيجد حياة ما كانت له على بال! ليس بين الله تعالى وبين خلقه نسب وهذه المنح تجري لكل إنسان على قدر صدقه مع ربه تعالى وقيامه بحظوظ العمل ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تنتفخ قدماه من طول القيام وتناصحه عائشة رضي الله تعالى عنه فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً ! وكان يصوم حتى يقال لا يفطر ، وكان أجود ما يكون بوقته وماله وفكره وحياته كلها في سبيل الله تعالى ، ومن سار على ذات الطريق وصل يوماً من الدهر .

...

- وعلمتني : أن للذنوب أثقال وأحمال ! فمن جملة المنن التي امتن الله تعالى بها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن وضع عنه ذنوبه ، وخفف عنه أثقالها ، وألقى عنه أحمالها (ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك) ومن المعلوم أن الأنبياء معصومون من الكبائر والخيانة وتقع منهم صغائر الذنوب أو خلاف الأولى ومع ذلك أخبر الله تعالى أنه كانت كالأثقال على ظهره صلى الله عليه وسلم فكيف بأصحاب الكبائر ! ومن هذا المعنى قال

الحسن لمن سأله عن رغبته في قيام الليل وعدم قدرته على ذلك قال : قوم كبلتهم معاصيهم عن طاعة الله تعالى . اهـ كم من محروم عن صلاة الجماعة لا يستطيع النهوض من فراشه ! وكم من سامع لأحداث القرآن في حياة كثيرين ولا يستطيع أن يمد يده إليه ! وكم من يملك مالاً ولكنه يقف مغلول اليد عن الإنفاق ! وكم من إنسان تتقطع نفسه حسرات على كثير من الأعمال الصالحة ويموت ألف مرة دونها . ومن الفقه والوعي إذا رأيت من نفسك تأخراً عن طاعة ، وثقلاً عن خير ، وتباطؤ في صالح من الأعمال فأدرك نفسك فإنما هذه صناعة المعاصي ألقت بأحمالها على قلبك حتى أبقتك محروماً من كل شيء .

...

- وعلمتني : أن كل عسر مقابل بيسيرين ، يسر قبله ويسر بعده ذلك أن الله تعالى ذكر العسر مُعرّفاً مرتين فهو عسر واحد لا ثاني له ، وذكر اليسر منكراً مرتين فهما يسران ، ولن يغلب عسر يسرين (فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً) فما ضاقت أزمة إلا انفرجت ، وما حلت ظلمة إلا زالت ، وما حدث كرب إلا فُرج وإنما هي أيام ثم تحين مواعيد الفرح من جديد . كم لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة من تعذيب وطرد وحصار وأيام بؤس وكلها انجلت في لحظة من لحظات غزوة بدر وجاء الفجر بعد ليل طويل! وكم هي أفراح بدر مقارنة بأفراح فتح مكة في النهايات ودخول الناس في دين الله تعالى أفواجاً ! وكم هو الفرق بين أيام الهجرة التي خرج فيها من مكة طريداً شريداً مُتَابعاً وبين واللحظة التي دخل فيها مكة منتصراً مغموراً بالأفراح ! ولو أن بعضنا نظر لظروفه وأيامه التي مرت لوجد هذه الحقائق رأي عين . كم من ضال اهتدى بعد طول أمد من العناد والفوضى ! وكم من مديون أصبح تاجراً بعد طول انتظار ! وكم من غربة أفضت بصاحبها إلى لقاء الأفراح بعد سنين!

وما حل كرب ولا ضيق ولا عسر بإنسان إلا كان على وعد مع الحياة أقرب ما تكون .

...

- وعلمتني : أن الصلة بالله تعالى والإقبال عليه من أعظم ما تعين صاحبها على تكاليف الحياة . إذا واجهتك الفتن ، وضاقت عليك الظروف ، وقل المعين ، ولم تجد من يأخذ بيدك فتوجه إلى ربك تعالى وأحسن صلتك به ، ومد يدك إليه وكرر (يارب) وستأتي على كل أمانيك وإن طال زمان ذلك الانتظار ، ألا ترى أن الله تعالى أشار إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى الكبير فقال تعالى (فإذ فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب) ! لنتعلم في كل مرة أن طاعتنا لله تعالى ، وإقبالنا إليه ، وإصلاح واقعنا معه تعالى هو الطريق الأوسع لأفراحنا في مستقبل الأيام . ومن أصلح ما بينه وبين الله تعالى أصلح الله تعالى له كل شيء قال تعالى (من عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) حياة طيبة في قلبه ومشاعره وبيته وعمله ومشروعه وكل شيء في حياته ، ولا طريق إلى هذا المعنى الكبير إلا من طريق الله تعالى وما عداه فضياع .

...

- علمتني سورة التين : عناية الله تعالى بالإنسان وإبداعه لخلقه وتكريمه له وهذا القسم بأماكن الرسالات (والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين) فالقسم بالتين والزيتون قسم بأرض فلسطين مكان إنباته وهي الأرض التي بُعث فيها عيسى عليه السلام ، والطور طور سيناء الذي ناجى الله تعالى عنده كليمه ونبيه ورسوله موسى عليه السلام ، والبلد الأمين مكة التي بُعث فيها نبينا صلى الله عليه وسلم دليل هذا التكريم الكبير ، وقد جعلك الله تعالى مناط الرسالات كلها ، وكرمك بالعقل ، وبعث إليك رسله وأنزل إليك كتبه كل ذلك لتحقيق الخلافة (إني جاعل في الأرض خليفة) واستعمار الأرض والقيام بحضارتها (واستعمركم فيها) فانظر لنفسك أين أنت من هذه المعاني الكبار ! وما دورك في تحقيق الخلافة التي تقوم بها بعد أبيك آدم عليه السلام . وكل إنسان سيرد على ربه تعالى وكل الأسئلة التي تتعلق بنجاته وفوزه وتكريمه بالنعيم وقف على هذه المعاني العظيمة في كتاب الله تعالى .

...

- وعلمتني : أن الشباب سيعود إلى كبر ، والصحة إلى مرض ، والقوة إلى ضعف ، والحياة إلى موت ، والفراغ إلى شغل ، والممكن إلى غير ممكن (ثم رددنا أسفل سافلين) وهذه المعاني موجبة لاستثمار الإنسان لحياته وصحته وشبابه وأوقاته قبل فواتها . كم مرة رأيت مُسنّاً يتوكأ على عصاه بعد أن كان يجوب الأرض كما يشاء ! وكم مرة رأيت شيخاً لا يستطيع أن يسقي نفسه شربة ماء وهو إلى جانبه فضلاً على أن يقوم بمصالحه الأخرى بعد أن كان عوناً في ملمات مجتمعه ورأساً في تفريج الملمات ! وهذه الصور يراها الإنسان في كل لحظة من حياته وأقرب ما تكون إليه في بيته أو مجتمعه وهو أحوج ما

يكون فيها للذكرى . ومن الفقه وكمال الوعي أن يستدك الإنسان أيام شبابه وصحته وقوته وفراغه ويبعث فيها الحياة ، وليكن في فكره في كل لحظة ما جاء في البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ، قال صلى الله عليه وسلم (إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً) .

...

- وعلمتني : أن ثمة غاية كبرى للخلق ، وسر ضخم لوجودهم في الحياة وكل مخلوق جاء لغاية وهو مسؤول عن تحقيقها قبل رحيله من الدنيا ، ولذا تناقشه هذه السورة وتسائله وتُذكّره (فما يكذبك بعد بالدين) ! ما الذي يحملك على إنكار البعث والجزاء وقد رأيت الحقائق رأي عين ! ثم يدله الله تعالى ويلفت نظره إلى قضية أخرى (أليس الله بأحكم الحاكمين) ! فإن هذا الخلق البديع في الكون ، وتلك المعالم المدهشة في كل زاوية من زوايا الدنيا كلها تدل على كمال علمه وحكمته (أليس الله بأحكم الحاكمين) ومن أرخى لعقله التفكر في هذا الكون الفسيح دله على الله تعالى من أقرب طريق وقد قال الأعرابي : إن البعرة تدل على البعير ، وإن الأثر يدل على المسير ، وسماء ذا أبراج ، وأرض ذات أتراب إنها لتدل على اللطيف الخبير ! ولو أن كل عاقل أقبل على فقه شريعته لرأى فيها من التجانس والإبداع ما أفاض عليه إجلال ربه تعالى ، وتقديس شعائره ، وتعظيم أمره ، و قيامه بحقوقه في كل شيء . وكم من قليل عقل رقيق دقيق يعترض اليوم على شريعة الله تعالى ومنهجه ، ويصفه بأنه لا يلبي حاجة الناس ، ولا يتماشى مع حضارة الأمة ، ويقف في وجه التنمية ، ويعترض على جملة من أحكامه تعالى وهو العلي العظيم ! ولو سلم قلبه وعقله وأنصف لأخذته الدهشة في كل شيء ولكنه الخذلان !

- علمتني سورة العلق : أن العِلْم من أعظم المنن على مخلوق ، وكل إنسان ويؤتى من حظوظ الحياة على قدر حظوظه من العلم ، ولو لم يكن في شأن العلم إلا أنه أول كلمة في كتاب الله تعالى (اقرأ) لكان كافياً ! لقد امتن الله تعالى الإنسان بتعليمه له الكتابة بالقلم قال تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علّم بالقلم . علّم الإنسان مالم يعلم) وحياة الواحد منا وقف على هذا المعنى الكبير ! حين نقرر أن نقرأ ونتعلم فنحن نقرر أن نحيا حياة أخرى من خلال خلق تلك العادة في واقعنا ، وإذا بدأ الإنسان بالوحي كتاباً وسنة بدأ سلم الطريق من أوله وأصله وحقيقته وتعرّف على ربه تعالى ، وعرف واجباته ، وقام بحقوقه ، وأجَلّ شريعته وتعرّف كذلك على رسوله صلى الله عليه وسلم معرفة تدفعه للعمل والحياة والبناء ، وعرف كيف يأتي على آماله من خلال هذه المعاني في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وكل فرد وأسرة ومجتمع ودولة وأمة يجب أن تضع قضية العلم في سُلّم أولوياتها وأهم قضاياها لأن الوجه المقابل للتعليم هو الجهل والأمية والظلام والأوهام والفوضى والضياع .

...

- وعلمتني : أن اعتداد الإنسان بنفسه وإعجابه بقدراته ومهاراته وطاقاته وإمكاناته من أسوأ ما يواجهه في حياته . فهذا الشقي الضال (أبو جهل) إنما واجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خصم الدعوة في ذلك الحين وألد أعدائها وخصومها طيلة حياته أثر من تلك الأمراض التي أصابت قلبه حتى تصوّر أنه صاحب القرار في أرض الله تعالى ، قال تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى) ، ومن الوعي أن يتعرف كل

فرد على شخصيته وأن يبني منظومة أفكاره ومفاهيمه من خلال الوحي ، ويتعرف في المقابل على أمراض قلبه معرفة دقيقة ثم يجهد في علاجها حتى يسلم من آثارها في مستقبل الأيام . وكم هي الأمراض التي تواجه الإنسان اليوم وتقف عائقاً في وجه حضارته وتقدمه وسداً منيعاً أمام بناء مستقبله وهو أحوج ما يكون لعلاجها في أقرب الأوقات وأعجلها إليه ، وكل إنسان فقيه بحاله وأعرف بأمراضه وأقدر على إصلاح نفسه قبل فوات الأوان.

...

- وعلمتني : سنة الله تعالى في المكذبين الضالين المعارضين لدينه ومنهجه في الحياة ، وهذه السنة لم تتخلّف على مر التاريخ ، وقد جرت على الأمم والأفراد والمجتمعات على حد سواء ، وقد قص الله تعالى في كتابه ما جرى للأفراد كفرعون وقارون وهامان ، وما جرى للأمم كقوم نوح وعاد وثمود كدليل شاهد على هذا المعنى الكبير . وهو درس لكل معارض لمنهج الله تعالى أن خصمه ربه تعالى وهو الذي سيتولى ردعه وجزاءه عاجلاً أو آجلاً فلا يَغُرّه إمهال الله تعالى له وإمداده بالقوة والجاه والسلطان والمال فإن لكل ذلك أجل تنتهي فيه ثم يحين موعد الجزاء (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية) يقول الله تعالى إن لم ينته هذا الشقي عن فعله سنأخذه مجذوباً إلى النار بمقدمة رأسه وإذا صنعنا به ذلك فلينفعه صحبته وأعوانه وناديه التي يجتمع به مع المكذبين الضالين .

...

- وعلمتني : أن حسن الصلة بالله تعالى من أعظم ما يواجَه به الباطل وتدار به معركة الحياة ، وما رزق عبد ثباتاً في دينه ومواقفه ، وأُعين على إدارة مشاريعه ، ووفق في صراعه للباطل بمثل هذا المعنى الكبير ، ومن استقبل الله تعالى وصنع لنفسه أوراداً ثابتة ولزم هذا الباب إلا أوشك أن يدخل معه إلى

كل خير ونصر وتوفيق . إن الله تعالى يوجه نبيه صلى الله عليه وسلم في إدارة المعركة مع المناوئين إلى أسلم الحلول وأكثرها أثراً في إدارة المعركة وأقربها للنصر والتمكين فيقول له تعالى : (كلا لا تطعه واسجد واقترب) دعك منه ولا تشغل بالك به وتوجه إلى ربك وأحسن علاقتك به فإن مدد العون والتوفيق والنصر سيأتيك . وهو معنى لطيف جداً يدعو الواحد منا أن يعيد علاقته بربه ويرتبها ويستثمر أوقاته كلها أو جلها في بناء هذا المعنى الكبير ولا ينصرف إلى الهوامش فينشغل بها عن أهم الأولويات التي يجب أن يركز عليها . والناظر في حال كثير من قضايا الأمة سيرى في أيام الأزمات بالذات جهود كبيرة في تتبع أخبار تلك المعارك وإحصاءاتها كل يوم وحين تنجلي غبار تلك الأزمة يصحو الإنسان فإذا به ضاع منه كل شيء . فما أحوجنا للعودة إلى الله تعالى والإقبال عليه وصرف كل أوقاتنا في هذا الطريق الذي ستورق به أرواحنا وتنشرح صدورنا وتحين أيام الربيع في واقعنا إلى أقصى مدى .

...

- علمتني سورة القدر عظمة القرآن الكريم وبيان منزلته ، ترى ذلك في قوله تعالى (إنّا) في بداية السورة وإسناد الإنزال إليه تعالى دليل على تفخيم شأنه وتعظيم أمره وجلالة قدره ويكفي أنه كلام الله تعالى وأنه هو المنزل له وجبريل هو الواسطة ومحمد صلى الله عليه وسلم هو المتلقي والليلة التي نزل فيها هي ليلة القدر (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وكتاب بهذا المعنى الكبير حقيق بالإجلال والتعظيم والتقديس ! ونجاح الأفراد فضلاً عن الجماعات والدول والأمم مرهون بإقبالهم عليه قراءة وتأملاً وتدبراً وصدورهم في النهاية عن أفكاره ومفاهيمه وتصوراته الكبرى في الحياة .

...

- وعلمتني : منزلة ليلة القدر وعظم قدرها وشأنها عند الله تعالى ، وأنها ليلة مباركة العمل فيها بألف شهر وهو ما يعادل أربع وثمانين سنة وبضعة أشهر ، وليلة هذا قدرها ، وتلك منزلتها وشرفها ، وهذه حقائق الحياة فيها حرية بالإجلال ، وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلها فيعتكف في مسجده في العشر الأواخر ويتحراها في أوتار تلك الليالي وفي الصحيحين من حديث أبي هرير رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت ، قال صلى الله عليه وسلم (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) وأخبر عائشة رضي الله تعالى عنها حين سألته إن لقيت ليلة القدر ما تقول ؟ فقال صلى الله عليه وسلم تقولين : (اللهم إنك عفو وتحب العفو فاعف عني) وإذا أدركت أن تلك الليلة تنزل فيها

الملائكة إلى الأرض ، ويشارك جبريل ، وينعتها الله تعالى بقوله (سلام هي حتى مطلع الفجر) كانت منك على بال .

...

- وعلمتني : يسر دين الله تعالى وجماله وسماحته فلا يكلف الناس فوق طاقتهم ويرضى منهم باليسير ، وتسد نقصه ، وتجعل له من الأعمال والأوقات ما يعينه على استثمار عمره واستدراك الفارط منه بكل طريق (ليلة القدر خير من ألف شهر) وهذا المعنى أوضح ما يكون في دين الله تعالى وقد رفع الله تعالى التكليف عن الأمة فقال (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت ، قال صلى الله عليه وسلم (مه عليكم بما تطيقون من الأعمال ، فإن الله لا يمل حتى يملوا) وهذه الليلة التي يمن الله تعالى بها على عبادة إنما هي جزء من كل ، ونافذة على جمال هذه الشريعة وأناقتها ، ولو نظر الإنسان متأملاً في التشريع لعرف كل شيء ، من ذلك أن الله تعالى قصر الأركان على خمسة فحسب ، وجعل منها ركناً واحداً على الدوام ، والصيام في العام مرة واحدة ، والحج مرة واحدة في العمر وعلى حسب الاستطاعة ، ويراعى المريض ويسقط عنه من التكليف بحسبه ، وإذا سافر العبد أو مرض كُتب له من العمل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً ، ولا يؤاخذه بتصرف خرج عن إرادته وغير ذلك ما يدلك على أنها شريعة صالحة لكل ومان ومكان .

- علمتني سورة البينة : أن أهل الكفر والضلال مؤمنون بدينهم ومتمسكون بعقائدهم ومرابطون عليها وغير زائلين عنها مهما كانت الحجج والبينات الدالة على بطلان ما هم عليه وضلال ما هم فيه ، وهذا في الأغلب الأعم وإلا ففيهم من إذا بان له الحق وانكشف له زيف ما هو في من الباطل خلّفه وراء ظهره وأقبل على الله تعالى وصنع لنفسه موقعاً وكتب حظه من الإسلام (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة .. وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) وإذا كان أصحاب الباطل وعقائد الضلال يؤمنون بعقائدهم ويستميتون في التمسك بها ويناضلون من أجل بقائها ويدفعون كل شيء من أجلها فما شأن المسلم مع عقيدة الحق إيماناً وسلوكاً ! إن هذه الإشارة في السورة بما عليه أهل الكفر من مبادئ تدعونا إذا أردنا دعوتهم وهدايتهم أن ندرك هذه الخلفية عنهم وعلينا أن نصنع ما يزيل هذا الإيمان بالعقائد الباطلة من خلال حجج وبراهين ثابتة وقوية وقادرة على فك ذلك الارتباط ، وفي المقابل هي دعوة للعودة إلى ديننا وتمسكنا به والنهوض بأفكاره ومفاهيمه وتصوراته في العالمين .

...

- وعلمتني : أن إجلال شعائر الله تعالى وتعظيم أمره ونهيه أعظم المقاصد على الإطلاق ، وهي الأصل من وجود الإنسان في الحياة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وهذا هو الفقه الأكبر الذي ينبغي أن يأخذ حظه من قلوب ومشاعر المسلمين ! وفرق كبير جداً بين من يؤدي شعائر بمقتضى العادة والإلف ، ومن يؤديها وهو يشعر أن يتعبد لربه ويجل أمره ويقوم بشأنه ويحتسب في كل خطوة في ذلك الطريق الطويل ! (وما أمروا

إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وإذا فقهنا هذا المعنى الكبير أدركنا حينها أن دين الله تعالى يجري في كل شيء وليس هو مجموعة الشعائر المرتبطة بالمسجد فحسب وإنما هي علاقتك في بيتك بزوجك وولدك ، وجارك وصديقك ، وبذلك جهداً وعرقاً في سبيل فكرتك الناهضة ومشروعك الكبير ، واحتساب كل شيء في هذا الطريق الطويل .

...

- وعلمتني : عاقبة الضالين من أهل الكفر والشرك والضلال فقد حكم عليهم الله تعالى بأنهم أخبث خلقه تعالى وعاقبتهم في النهاية إلى النار عافانا والله تعالى وإياكم من الكفر والضلال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) وهذه الحقيقة يجب أن تأخذ حظها من كلام أهل العلم وتقريراتهم حتى لا ينخدع أحد بدين باطل لا قيمة له في شيء . إن المعركة التي تدار اليوم بين أهل الحق والباطل معركة أفكار ومفاهيم وبناء تصورات ، والعدو يملك من تلك الأدوات ما يستطيع أن يعمم به فكرته وضلاله ، فلا أقل من أن تعي أجيال الأمة اليوم دورها ومسؤوليتها في هذه المعركة وتسعى بكل ما يمكن من التفوّق بالحق الذي معها في مقابل تلك القوة التي يمتلكها عدوها . ومن تأمل زمانه أدرك هذه المعركة وعرف قدرها ورأى صورها في واقعه حتى بدأنا نناقش قضايا الردة والإلحاد وضياع الهوية الإسلامية لأجيال نشأت على الحق وترتب عليه وعاشته زمناً طويلاً من عمرها ولكنها بدأت تحل وافد الأفكار الجديدة وتبشّر بها في العالمين .

...

- وعلمتني : بيان عاقبة الإيمان والعمل الصالح على أهله في الدارين ، قال تعالى عن أثر تلك العاقبة العاجلة في رحاب الدنيا (من عمل صالحاً ممن ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طويلة) وقال تعالى عن عرض تلك النهايات بين يدي الله تعالى يوم القيامة (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) ومن فقه هذا الجزاء دفع له كل شيء وتمسك بدينه واستوثق منه ، وأقبل عليه راغباً ، وبذل في الطريق إليه كل ممكن ، وأبى أن يتخلى عن شيء من أحداثه في مستقبل الأيام.

- علمتني سورة الزلزلة : مسؤولية الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة وإذا كانت الأرض وهي جماد ستتحدث وتخبر عن كل ما جرى فيها وحدث عليها من الأعمال فإن ذلك موجب للعناية بتصرفات الإنسان وضبطها قدر الوسع وأن لا يأتي منها يوم القيامة شيء خلاف المنهج وموجب للشهادة على صاحبها بالخسران (وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) إن هذه الحقيقة يجب أن تأخذ حقها من قلوبنا ومشاعرنا وتصوغ حياتنا كما يجب أن تكون وإلا دارت الأيام علينا بالخسران ووقف الإنسان في مواقف يبحث عن الفكاك ، وما كل لحظة صالحة للاستعتاب ! ومن تخيّل هذا المشهد يوم القيامة عرف له قدره وسعى أن يكاثر في حسناته ويوسع في أثره وجهده ويأتي بما يستحق الفرح في تلك اللحظات وحرص غاية الحرص من كل سوء يجري الحديث عنه في تلك اللحظات .

...

- وعلمتني : أن نجاح كل إنسان يوم القيامة وخسارته وقف على العمل الصالح ، ومن أحسن الإقبال على الله تعالى وصدق في الطريق إليه ومنحه وقته وفكره وعقله وقلبه وجهد أن تكون له أوراد ثابتة لا يتخلّف عنها البتة صنع لنفسه حياة مدهشة في الدارين ! وإذا قرأت سيرة بلال رضي الله تعالى عنه وحرصه على ركعتي الوضوء للدرجة التي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم دف نعليه في الجنة وهو ما زال على قيد الحياة ! واستلذت امرأة كانت تصرع في الطرقات تعبها ومرضها في سبيل الجنان وعاشت على ذلك حتى لقيت ما عند الله تعالى ، وعمار بن ياسر وزوجه تحملا القتل في بدايات الإسلام من أجل هذا المعنى الكبير أدركت ذلك المعنى وكنت على ذات الطريق . وفي المقابل ذهب

أبو لهب وأبو جهل وزعماء الضلالة إلى النار (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم) ماذا لو قرأ كل إنسان مشاهد هذه اللحظة في قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم) ! ومنحها قلبه ومشاعره وأدرك أنه وارد على الحقائق وصادر عن نتائجها وأحداثها في ذلك اليوم ! كم من صغير في فلاة جاء عظيماً في تلك الموازين ! وكم من خلوات جاءت حاضرة شاهدة في زمن الحاجات !

...

- وعلمتني : أن الحياة استثمار ، وكم من حسنة أوجبت لصاحبها الحياة! وإذا كانت مثاقيل الأعمال وصغائر الحسنات مكتوبة ومدونة وموزونة فما بالك بالحسنات الكبار ! ومن عرف هذه الحقائق جهد ألا يدخر شيئاً من الصالحات. إن الحسنة بعشر أمثالها ، وسبحان والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، ولا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة ، ومن قال سبحان الله غرست له نخلة في الجنة ، والحرف الواحد من كتاب الله تعالى بعشر حسنات إلى أضعاف كثيرة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وتبسمك في وجه أخيك كذلك فما شأن الصلاة التي قال فيها صلى الله عليه وسلم (الصلاة خير موضوع) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني ، والصيام الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني ، والصدقة التي يخبر فيها صلى الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (إن الله يأخذ صدقة أحدكم بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوة حتى تأتي يوم القيامة كالجبل العظيم) ، وأن يحذر في المقابل غاية الحذر من مثاقيل تأتي في موازين الكبائر من الأعمال . كم من صغير من هذه الآية (فمن يعمل في من فقه الإنسان ووعيه أن يستثمر أيامه ويجهد

في تحقيق مراده من الآخرة من خلال استثمار كل ممكن في الحياة ولو كان بسيطاً يسيراً فإن مثاقيل الذر عظيمة في موازين ذلك اليوم .

- علمتني سورة العاديات : أن الإنسان بما يصنع لدينه ، وما يهب من وقته وفكره وجهده لمنهجه في الحياة وما عدا ذلك فركام لحم لا قيمة له في شيء! وإذا كانت الشريعة تحتفي بالدواب وهي عجماوات لعلاقتها بهذا الدين ومشاركتها في رعاية المنهج وقيامها بدور في الإصلاح فما بالك بالإنسان الذي جاء أصلاً لتحقيق هذه الغايات (والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعاً . فوسطن به جمعاً) وهذا القسم بأصوات الخيل ، وصدى حافرها في الأرض ، وغاراتها في طلائع الفجر ، وتوسطهن للعدو دليل ذلك المعنى الكبير . وكل دابة وآلة إنما تنال حظها من الثناء على قدر دعمها ومشاركتها في دعم رسالة هذا الدين وقيامها بحقه في تمكينه في واقع العالمين وفي البخاري قال صلى الله عليه وسلم (المنفق على الخيل في سبيل الله كالباسط يديه بالصدقة ولا يقبضها) حتى تعلم أن قيمة الشيء إنما تأتي من علاقته بهذا الدين العظيم !

...

- وعلمتني : أن الجهاد في سبيل الله تعالى من أعظم الأعمال ، وراياته في مساحة ما من أعظم الرايات ، وعز كل أمة منوط به مع الأيام ، وإذا تخلت عنه أمه جرت عليها سنن الهزيمة وقهر العدو ومضت عليها عاديات الزمان من كل مكان ، وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء في هذا المعنى الكبير حاجتها لجهاد العلم الذي تحتاج الأمة إلى مناضلين في سبيله حتى تقوى به شوكة الأمة وتعز بطاقاتها وقدراتها في مستقبل الأيام ، وتصبح نداً لكل عدو وقل مثل ذلك في جهاد الأفكار والمفاهيم الصحيحة ، وتصحيح التصورات الخاطئة ، ومحاربة الأوهام التي أخذت مساحة كبيرة من عقول أبناء الأمة وترتب عليها

خلل كبير في فقه أولوياتها وأهدافها الكبرى ومساحاتها الممكنة حتى أصبحت فارغة لا علاقة لها بالعمل في شيء .

...

- وعلمتني : حقيقة الإنسان وأصل خلقته وأنه جُبل على الجحود ونكران نعم الله تعالى ونسيان فضله وإكرامه وإنعامه عليه وهذا القسم من ربك في بدايات السورة دليل على أن هذا الخلق متأصل في نفسه ، وليس في إنسان دون آخر وإنما عارض يعرض لكل إنسان ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكمّل أهل الصلاح (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)فقد جُبل الإنسان على حب ذاته وتقديم مصالحه وتحقيق شهواته حتى لو على حساب الآخرين ومن لم يتنبه لهذا الخلق وإلا بقي معه ما بقي في الحياة ، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يتعاهد نفسه بالإصلاح ويقوم على تربيتها وتهذيبها من سيء الأخلاق وعادات السوء حتى يلحق بركب الصالحين المصلحين . وكم من إنسان قعدت به نفسه عن الفضائل ! وتأخرت به عن ركب الصالحين ! وتخلفت به عن مواطن الحياة حتى عاد كاسداً من كل شيء . وما أكثر هذه الصور في زمانك ! وما أقل أصحاب الرايات ! والله المستعان .

...

- وعلمتني : أن الإنسان جُبل على حب المال والتعلّق به والمجالدة دونه بكل ممكن ، وهذا أصل في الإنسان قل أن ينفك عنه وهو جبلة ملازمة له فتراه شديد الولع بالمال كثير الحب له لا يكاد يخرجه من يده إلا بعسر ومشقة ، وكم من متأخّر عن مكارم الأخلاق من خلال هذا الخلق الذميم ! وقيمة المال الكبرى ليست في كثرته في حسابك الشخصي ، وإنما بكونه في يدك وليس في قلبك منه شيء ، ومن توفيق الله تعالى لصاحبه أن يفرّج به هماً ، ويصنع به معروفاً ، ويعين به محتاجاً ، وتجري به ساحات الفرح في قلوب

الآخرين إلى أقصى مدى ! ولن تتخلّص من هذا الأصل العارض إلا بالوعي بدوره وأثره في بناء آخرتك ، ومغالبة ذلك الأصل بأضداده من النفقة والجود به في مواطن الحاجة إليه والمساهمة به في باب من أبواب الخير والجود والإحسان.

...

- وعلمتني : أن العبرة في النهايات بصلاح القلوب ، وأنها أصل في سعادة أصحابها في الدارين ، ومن صلح قلبه صلح حاله وسعد ووجد من الفرح والسعادة والاستقرار والطمأنينة عاجل بشراه ، وغالب نهايات السوء من فساد القلوب ، وكم من ضال بسبب قلبه ! وكم من خاتمة سوء من أثر ذلك ، والله المستعان ، وقد قال الله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وقال الله تعالى (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُور) وفي الصحيحين أن رجلاً شارك في الجهاد وما ترك شاذة ولا فاذة إلا صنعها في الأعداء حتى أُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما صنع فقال صلى الله عليه وسلم (هو في النار) ثم جُرح فقتل نفسه فذهب في عداد سوء الخواتيم ! وآخر شارك في الجهاد وحين قُسم له من الغنيمة تركها وولى وقال ما على هذا بايعتك يارسول الله ! بايعتك على أن أرمى بسهم من هاهنا وأشار إلى حلقه فيخرج من هاهنا فأدخل الجنة ! فقال صلى الله عليه وسلم (إن يصدق الله تعالى يصدقه) فما هي إلا لحظات وإذا بهم يحملونه وقتل رمي بسهم في ذات الموضع الذي أشار إليه فقال صلى الله عليه وسلم (أهو هو ؟) قالوا نعم ! فقال : (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك) . فتنبه لقلبك وتعاهده واصدق الله تعالى في نيتك وتخلّ من كل صور الرياء حتى تلقي الله تعالى وأنت على أمثال هذا المعنى الكبير .

- علمتني سورة القارعة : أن من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يستعد غاية وسعه ليوم القيامة ، وألا يفرّط في لحظة من زمانه ما أمكنه ذلك ، وأن يعلم يقيناً حقيقة ذلك اليوم وأنه محفوف بالخطر وهو حقيق بالاستعداد ، وما قارئ لأحداثه التي تعرض السورة بعضاً منها إلا دليل على ما بعدها من أهوال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش) ومن قرأ أحداث هذا اليوم من الوحي أدرك ما يستحق من عمل وجد ، ولو لم يكن فيه إلا هذا الخلق منذ خلق الله تعالى آدم إلى يوم القيامة في صعيد واحد كالفراش المبثوث في الأرض ، والجبال التي تحولت إلى صوف منفوش بعد أن كانت أصلب ما يكون لأدرك ما ينتظر الإنسان في ذلك اليوم .

...

- وعلمتني : أن الربح والخسارة يوم القيامة وقف على الأعمال ، وحسب كل إنسان ثقل ميزانه وخفته ولا شيء دون هذه الحقائق في ذلك اليوم (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ .فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ .وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ) وكل عاقل ينظر في عمله كثرة وقلة ، وصدقاً وصلاح نية قبل أن يرد على الله تعالى في تلك العرصات فيحسب أنه على شيء وإذا بالحقائق راي عين ، وكم من قادم على الله تعالى كان يظن شيئاً فلم يجد سوى الحسرات (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ولا أقل من أن يعود الإنسان إلى نفسه وينظر أول أمره في تعظيمه لأمر الله تعالى وإجلاله لشرائعه ، وخوفه ، وبعده عن حرماته ثم ليقبل على النظر في صلاته فإنها أعظم الأعمال وأول سؤال يُسأله قبل كل سؤال ثم ينظر في ما بقي من أركان دينه ويقيم شأنها ثم يقلّب بصره في علاقاته بالآخرين بدءاً بالأهم فالأهم

والأقرب فالأقرب ويهب لها ما يجري عليه بالتوفيق ويحذر غاية وسعه أن يلقى الله تعالى ظالماً لمخلوق أو باغياً على ضعيف حتى لو كان حيواناً من الحيوانات فضلاً عن أن يكون مسلماً من المسلمين ، وقد بلغك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أن بغياً دخلت الجنة بسقيا كلب ، ومن أزاح غصن شوك رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلب في الجنان ، ومن كان يداين الناس ويقول لعامله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنه عفا الله تعالى وقال نحن أحق بالتجاوز منه ، وتبسمك في وجه أخيك صدقة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

- وعلمتني : سوء عاقبة التفريط يوم القيامة ، وأن قوماً عاشوا طويلاً في الدنيا ثم وردوا على الله تعالى فلم تصنع لهم تلك السنون شيئاً من المعروف وعادوا خاسرين (ومن خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ما هية . نار حامية) وما يصنع بنار جهنم وقد وصفها الله تعالى أنها تشهق لرؤية أصحابها المفرطين كما تشهق البغلة للشعير (إذا رأتهم من مكان بعيد . سمعوا لها شهيقاً وهي تفور) وأخبر نبيك صلى الله عليه وسلم أن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه) فما بالك بمن ذهب حطباً لها نعوذ بالله تعالى من الحرمان .

...

- علمتني سورة التكاثر : أن من فقه الإنسان وكمال عقله أن يقتصد في دنياه قدر الوسع ، وألا يأخذ منها إلا ما يبلغه غايات الآخرة فحسب وفي قول الله تعالى (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) رسالة تحمل توبيخاً ولوماً للمشغولين بالتكاثر في قضايا الدنيا على حساب الآخرة حتى وردوا القبور ! وكم من إنسان وهب الدنيا كل شيء ، وأقبل عليها إقبال الراغبين وانشغل بحساب ما يجمعه منها ولو على حساب صحته وسلامته ، ترى ذلك فيمن يشتغل بجمع المال على حساب نقائه وصفائه من شوائب الحرام ، ويجهد في الحصول على ذرية ولا ينشغل بتربيتهم في مستقبل الأيام ، وتحوّلت المسألة العددية حتى في أذهان كثير من أهل الفضل والصلاح وطلاب العلم فتراهم ينشغلون بعدد برامجهم ومشاريعهم على حساب أثرها والعائد منها ، وتراهم يعنون بوردهم الكمي من الصلاة والصيام والقرآن والذكر على حساب العائد منه على أرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم وكل هذا من الخطأ الذي ينبغي أن يعتني الإنسان بإصلاحه وإعادة تشكيله ويضع نصب عينيه صلاح نيته والقيام بحظوظه من التدبر والتأمل والخشوع ، وصدقه وموافقته للسنة مع العناية بالقدر الذي لا يخل بهذا المعنى الكبير في النهاية حتى يجمع بين الفضيلتين ، وعليه في المقابل أن يزيد في الكم بالقدر الذي يمكنه الجمع بين الفضيلتين.

...

- وعلمتني : أن التسويف من أخطر الأمراض التي تواجه الإنسان في حياته فهؤلاء الذين ذمهم الله بقوله تعالى (ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) ممن اعتراهم هذا المرض ولازمهم وسيطر عليهم وما زالوا يؤخرون كثيراً من قضايا الإصلاح حتى ماتوا وتركوا كل شيء . كثيرون اليوم يدركون سوء أحوالهم

وحاجتهم الملحة إلى إصلاح ذلك الواقع الذي يعيشونه ولكنهم يسوّفون حتى يفوت عليهم في النهاية كل شيء . وآخرون يعيشون فوضى عارمة في أوقاتهم وأولوياتهم ويتحسرون على فوات أرباحهم منها كل يوم وما تزال بهم الأماني لترميم تلك الأوضاع حتى تفجعهم الحوادث ويرحلون دون شيء . ومن الفقه في مواجهة هذا المرض التخطيط وإدارة الحياة واستثمار الأوقات المتاحة بكل ممكن ، وإدارة الأولويات ، وتحديد الأهداف حتى نكون قادرين على استثمار أوقاتنا بكل ما نملك ، ومن ذلك التعجيل بكتابة الوصية ، وتنظيم أمورها ، والعناية بالأوقاف التي تمد في ذكر الإنسان بعد موته ، وتوسع في أثره بعد رحيله وتجعله حياً ما بقيت الدنيا .

...

- وعلمتني : أن الآخرة كل شيء ، وأن من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يأخذ أهبته واستعداده لها بأقصى ما يكون ، وألا ينشغل عنها بأي عارض مهما كان الداعي إليه ولو لم يكن في ذلك إلا هذا الوعيد للمشغولين عنها (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) وما عاقل يقرأ نصوص الوحيين إلا وهو يعرف أن هذه الدنيا لا شيء بالنسبة لتلك الدار وقد قال الله تعالى وهو يصف هذه العاجلة (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) وعند ابن حبان من حديث المستورد رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما يرجع منه) ولو لم يكن في الآخرة إلا الجنة التي قال فيها صلى الله عليه وسلم (لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها) أخرجه البخاري وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (ناركم هذه التي توقدون جزء من سبع جزء من نار جهنم يوم القيامة) فقالوا

يارسول الله والله إنها لكافية ! قال (لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً) ومن عرف قدر الآخرة بذل لها كل شيء والأمر كما قيل جد ! وقد ترك السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين رسائل مدهشة في إدراك هذا المعنى والعمل له وبذل كل ممكن في سبيل أمانيه الكبار .

...

- وعلمتني : مسؤولية الإنسان الكبرى عن نعم الله تعالى ، وما أكثرها في حياة إنسان وقد قال الله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال تعالى (وإن تعدو نعمة الله لا تحصوها) وكم من سؤال سيدار في عرصات القيامة عنها (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) ! عافية جسدك نعمة من نعم الله تعالى وكم من مريض ومعلول ! ونعمة دينك وقد جعلك الله تعالى مسلماً مؤمناً وأمم في العالم من حولك على الكفر والإلحاد والضلال والظلام تجري في الدنيا بلا منهج ولا حقيقة وغداً يجري عليها سؤال التفريط والضياع . ونعمة الأمن التي تسعد في ظلالها وتلقى فيها كل شيء ، وكم من أمم تهدمت بيوتها من الحرب ، وطُردت وشردت وهي تقاسي الظلام والحر والبرد والغربة وفي مرات كثيرة لا تجد شربة ماء ! فضلاً عن ما أعطاك الله تعالى من علم وولد وفكر وجاه ومنصب وكلها سيجري عليها سؤال الله تعالى الكبير (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم).

- تعلمت من سورة العصر : قيمة الزمن في الحياة ، وأثر كل إنسان وقف على استثماره لوقته وهذا القسم في بداية السورة (والعصر) دليل على هذا المعنى الكبير وقد بلغك أن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم ! ومن عرف قدر هذا المعنى وعني به استقبل أيام الربيع ما بقي من العمر . وكل الناجحين الذين تراهم في واقعك أو تقرأ سيرهم في تاريخ أمتك عنوا بهذه القيمة وحرصوا عليها وجهدوا في استثمارها حتى دنت لهم الثمار ، وما عاقل أحرص على شيء أحرص على وقته وكان الواحد من سلفك أشح بوقته منه على ديناره ودرهمه ، وإذا كانت دقيقتان كافيتان لصلاة ركعتين ، وعشرون دقيقة كافية لقراءة جزء كامل من كتاب الله تعالى ، وسبع دقائق تشرف بك على نهاية أعظم الأذكار في حياتك (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مئة مرة في فجر كل يوم ومسائه فلا أقل من تستقبل هذا المعنى وتعتني به وتضعه في سلم عاداتك الإيجابية التي تريد تكوينها في قادم أيامك ومثلك أوعى بصناعة الفرق .

...

- وعلمتني : أن الأصل في الإنسان الخسارة (والعصر . إن الإنسان لفي خسر) ولا يخرج من هذا الأصل إلا استثناء من عارف لشرف زمانه ومتيقظ للحياة من خلاله ، وجاد في بلوغ أمانيه من الحياة . وهذا المعنى مؤذن لك بألا تغرك الكثرة في شيء فهي على شفير الهلاك (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) فتمثل دينك وقيمك ومبادئك الكبرى وخذ بوصية رسولك صلى الله عليه وسلم (قل آمنت بالله ثم استقم) ولا تنشغل بمن هم حولك في شيء وارفع بصرك للسابقين من الأجيال الناهضة وليكن هم حاديك للحياة ، والزم قول

ربك تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطاً) وكن كما قال لك ابن القيم رحمه الله تعالى : وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم وغض الطرف عمن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك أو أعاقوك.

...

- وعلمتني : أن توطّن نفسك على استقبال العثرات ومواجهة العوائق وتأخر المشاريع واستعلاء الباطل في كثير من الفترات لأن الغلبة كثيراً ما تكون للكثرة وإن كان هذا ليس غالباً بفضل الله تعالى ولكنها سنن تلقى حظها من الواقع في كثير من الأحيان ، ولا يمكن للقلة أن تحقق نصراً على الكثرة المقابلة إلا باستجماع قوى النصر الأخرى كحسن الصلة بالله تعالى ، والتوكل عليه ، والصدق في الطريق إلى الله تعالى ، والاستعداد الأمثل للنصر من خلال قوى العلم والمعرفة والتنظيم والترتيب التي تعد أسباباً مهمة جداً لتحقيق تلك الآمال التي نرقبها في قادم أيامك ، والإسلام لا يستمد قوته من كثرة الأتباع وإنما من قناعة أولئك الاتباع بدينهم وتمسكهم بقيمهم ومبادئهم ومثلهم الكبرى في الحياة .

...

- وعلمتني : أن كل المناهج والنُظم والأديان المنتشرة في الأرض سوى الإسلام باطلة لا قيمة لها حتى لو كانت عند أصحابها وأهلها كل شيء ، والسورة تقرر هذا المعنى الكبير (والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وما عدا هؤلاء فكلهم في فلك الخسارة وحضيض الحياة

. وما أكثر الأديان الباطلة في زمانك ! وهذا المعنى يزيد تعلقك بدينك ويمنحك شعوراً مدهشاً بالإقبال على حقائقه والقناعة به . وما تصنع بباطل وأوهام باتت تأخذ حظها من الأرض وليس لها من الحقائق شيء . ولو أن عاقلاً فقه هذا المعنى لما صار بعد الإيمان إلى الكفر ، وبعد الهداية إلى الضلال وبعد الإسلام إلى الردة . ومن كان يتخيّل أن يتنصّر مسلماً أو يتهوّد أو ينكر خالقه ويلحد وقد رأى الحقائق رأي عين ، ولكن المعصوم من عصمه الله تعالى ولا نهاية للضلال والحرمان .

...

- وعلمتني : أن الإيمان حركة كبرى في واقع الحياة ، وليس معنى جامداً في قلب إنسان ! (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) يبدأ الإيمان في قلب صاحبه ثم ما يلبث أن يجري في فلك مشاعره ويمد صاحبه بالقوى الفكرية والمشاعرية والوجدانية التي تجعله جزءاً من دينه ويقوم بحظوظه في الدارين (إلا الذين آمنوا) ولكنه ليس ذلك الإيمان الجامد في القلب فحسب وإنما (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) آمنوا ثم أقبلوا على العمل الصالح بكل أنواعه وأشكاله وصوره ثم تحوّل ذلك المعنى من عمل صالح إلى إصلاح تتعاون فيه تلك الفئات على حقائق الحق الذي يحملون ، ويتحملون في المقابل الأعباء والأثقال التي يواجهون حتى تجري أحداث هذا الدين في واقع الحياة وتأخذ حظها من نفوس العالمين.

...

- وعلمتني : أن كمال كل إنسان بمراتب أربع : معرفة الحق ، والعمل به ، وتعليمه للعالمين ، والصبر على الأذى فيه فكم من عارف للحق غير عامل به! وكم من عارف وعامل به وتقوته أرباح الدعوة إليه ! وكم من عارف ومعلم

ولكنه قليل الصبر على الأذى فيه ! فإذا ما توافرت الصفات الأربع في إنسان فأصبح عارفاً بالحق ، وعاملاً به ، وداعياً إليه ، وصابراً على الأذى فيه كان ذلك من أعظم الدلائل على كمال إيمانه وعلو كعبه وتمام إحسانه في الدارين.

...

- وعلمتني : أن الدعوة إلى دين الله تعالى مرتبطة بالأذى ، وكل فكرة أو مشروع أو قضية يراد لها الحياة في واقع الناس تحتاج إلى جهاد ونضال وليس أدل على ذلك من سير الأنبياء والمصلحين من فجر التاريخ إلى يومنا هذا والإشارة في السورة (وتواصوا بالصبر) بعد الأمر بالتواصي بالحق (وتواصوا بالحق) دليل على ذلك . وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم أُتهم بالكذب والجنون وأنه صابئ ، وشُج وجهه وكُسرت رباعيته ووضع سلى الجزور على ظهره ، وحُبس في شعب أبي طالب ثلاث سنوات وطُرد من مكة ورُمي بالحجارة في رحلة عودته من الطائف وكل هذه سنة من سنن الطريق ذكّره بها ورقة بن نوفل في أول نزول الوحي عليه حين قال (ما جاء نبي بمثل ما جئت به إلا عودي) وعلى كل أب ومرب وداع للخير أن يدرك هذا المعنى ويتحمل أعباء الطريق ويقيم بواجبه وستحين ساعات الفرح والنجاح أعجل ما تكون .

...

- وعلمتني : أثر الجماعة في دين الله تعالى ، ترى ذلك من خلال لفظ الجماعة في السورة (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ومن تأمل التشريع وعناية الإسلام بأمر الجماعة في أركان الإسلام على وجه الخصوص عرف أثر ذلك في دين الله تعالى ، وعلى سالك الطريق أن يمد قدر وسعه في هذه الغايات وأن يجهد بكل ما يملك في تكامل أدوارها حتى يأتي منها على ما يريد في النهايات . وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها إلى إحياء روح الجماعة ، وأول لبنة في هذا المعنى الكبير شعور الفرد بهذا المعنى

وتأصله في فكره وحرصه عليه غاية وسعه ، ومن ثم تشكّله في الأسرة والبيت ومن ثم مسجد الحي وجماعته مروراً بكل اجتماع يمكن أن يكون لبنة في الاجتماع الكبير الذي ترقبه الأمة في النهاية وتكون به الأمة جسداً واحداً (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) .

...

- وعلمتني : ضرورة الصبر في حياة الإنسان ، وأنه أعظم الطرق السالكة بصاحبه إلى النجاح والتوفيق ! ولو لم يكن من ذلك إلا عناية الوحي به وتكراره في كتاب الله تعالى أكثر من تسعين مرة ، ووعد الله تعالى لأهله بأعظم الجزاء (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) ومن عرف عوائده وذاق لذته ورأى آثاره أدرك ما يخلفه هذا المعنى الكبير ، وهو من الأخلاق التي تُتكسب بالمران وفي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (ومن يتصبر يصبره الله) وليس أصلح لبلوغ أمانيك في ولدك وطالبك وزوجك وصلاح بيتك ونجاح فكرتك ومشروعك منه وهو كل شيء بعد توفيق الله تعالى . وكم من ضال عاد للهداية! وكم من عدو للحق صار من أنصاره! وكم من بعيد عن الحياة عاد يشرب من معينها كل شيء !

- علمتني سورة الهمزة : أن التعامل مع الآخرين دين كما هي بقية شرائع الإسلام لا فرق، فكما أن الصلاة والصيام دين فكذلك تعامل الإنسان مع أهله وزوجه وأسرته وجاره وصديقه وزميله هي كذلك دين ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يرقب هذا المعنى ويتعامل مع الآخرين وهو يتعبد الله تعالى بذلك وفي الحديث (إن صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر) وقال صلى الله عليه وسلم (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) وإذا أردت أن تعرف قدر هذا المعنى فتأمل وعيد الله تعالى في مطلع السورة للمعتدين على الآخرين الطامثين في أعراضهم كيف يتوعدهم الله تعالى وهو القوي العزيز (ويل لكل همزة لمزة) وانظر لمشاهد النهايات (كلا لينبذن في الحطمة . وما أدارك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممددة)

...

- وعلمتني : أثر الكلمة وخطورتها في حياة إنسان ، وكم من كلمة ألقت في قلب صاحبها الأفراح ! وكم من كلمة ألقت به في أودية الضياع ! وهذا الوعيد العظيم الذي تقرأه في مطلع السورة من أثر كلمة وقد قال صلى الله عليه وسلم (وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يُحل الله بها عليه رضوانه إلى يوم القيامة . وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يُحل الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة) ، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته ، والله المستعان! وقد قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى في ترجمته لأحد الرجال بعد أن ذكر ذكاءه وعلومه :

وتغيّر ذهنه في أواخر عمره ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن ويقال أن ذلك كان عقوبة له لكثرة وقيعته في الناس . اهـ

...

- وعلمتني : خطر الغيبة وأنها مفضية بصاحبها إلى النيران ، (ويل لكل همزة لمزة) والهماز هو الذي يعيب الناس ويطعن فيهم بالفعل كالإشارة والتمثيل بيده أو لسانه أو جسده ونحو ذلك ، واللماز هو الذي يعيبهم ويطعن فيهم بالقول وهي دليل على رذالة أخلاق صاحبها وسوء طبعه ورقة دينه وضعف قيمه ، وكم من كلمة قالت لصاحبها دعني ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (أتدرون من المفلس ؟) قالوا : المفلس فينا من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فطرح في النار)

...

- وعلمتني : أن من سوء التوفيق لإنسان أن يهبه الله تعالى نعمة من النعم ثم يذهب بها في الحرمات ! ألا ترى هذا كيف أن الله تعالى جعل له لساناً ومكنه من الإفصاح عن حاجته والقيام بشؤونه فإذا به يُجري هذه النعم في فلك الحرمان فيتتبع بها عورات إخوانه ويكشف بها سر المؤمنين المتقين ويعبث بها في الحرمات حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مثقلاً بالذنوب والسيئات . وكم من إنسان يعسر عليه ذكر من الأذكار ، أو قراءة بعض آيات كتاب الله تعالى ويهو يخبط كل لحظة في أعراض المسلمين لا يبالي ما يصنع فيها ولا يشعر بشيء من الخذلان ، وليس لسوء التوفيق حدود ، والله المستعان .

...

- وعلمتني : أن الوحي يبني منهجاً في دحض الشبه والظنون الخاطئة ويدفع عن الإنسان الأوهام ويبني لديه تصورات الحياة كما ينبغي أن تكون ، ومن عرف خطر هذه القضية وأثرها الكبير في بناء مستقبله أدرك ما للوحي من آثار ! كل الوحي يبني الأفكار والمفاهيم ويشكّل التصورات الضخمة ، ولن تجد صاحب علاقة متينة بالوحي على علاقة بالأوهام في شيء ومن بَعُد عن الوحي صار بيئة مهيأة ومرتعاً خصباً للأوهام في مستقبل الأيام. تعرض الصورة قصة مأسور بالوهم (يحسب أن ماله أخلده) كسب أموالاً وظنها كل شيء وذهب يتمطّى في أعراض الناس بناء على ذلك وفاته أن المال لا يبني عزاً أو جاهاً لإنسان إلا بالقدر الذي يدفعه في مراض الله تعالى وما عدا ذلك فضياع . وهذا درس متين يصلح للآباء والمربين والدعاة يدعوهم للتركيز على بناء الأفكار والمفاهيم من خلال الوحي ، ويدعوهم في ذات الوقت للإغارة على مفاهيم الأوهام والدجل من خلال الوحي .

...

- وعلمتني : أنني إذا أردت علاج مشكلة ما في حياتي الخاصة أو في بيتي وأسرتي أو على مستوى مشروعي ووظيفتي فلا بد من وصف المشكلة وصفاً دقيقاً ثم عرض أسبابها التي كونتها مع الأيام ومن ثم نتائجها وأخطارها القادمة في حياتي ، وألا أتعجل في علاج مشكلات دون النظر في أسبابها والتعرف على أخطارها في قادم الأيام . تعرض السورة هذا النموذج المثالي في علاج المشكلات فوصفت المشكلة أولاً (ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالاً وعدده) وأبانت عن سببها الرئيس (يحسب أن ماله أخلده) ثم وضحت

بجلاء النتائج المترتبة على ذلك (كلا لينبذن في الحطمة . وما أدارك ما الحطمة. نار الله الموقدة . التي تطلع عليها الأفئدة . إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممدة)

...

- وعلمتني : أن الجزاء من جنس العمل ، ومن استقبل الحرمان لقيه ولو بعد حين . كان هذا الإنسان في عافية من أمره حتى أقبل على أعراض الآخرين ثم بُلي بسوء الخواتيم والعياذ بالله (كلا لينبذن في الحطمة) وماله وللنار وقد كان في منأى عن الضلال ! ومن ابتلي بالخوض في أعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى بموت قلبه عاجلاً أو آجلاً ، وقل أن تجد مشغولاً بأعراض الآخرين إلا أشغله الله تعالى عن نفسه وأنساه مصالحه وأجرى عليه ذات السنن في قادم الأيام .

- علمتني سورة الفيل : أن هدم (الأصول) فكرة قديمة لدى الأعداء ، وهذه الهجمة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة من فكرة أبرهة في قصة هدم الكعبة (وما أكثر أبرهة في زمانك !) لقد رأى أبرهة أنه لا حيلة لا طريق إلى إيقاف زحف هذا الدين وتمكنه في قلوب العالمين إلا بإزاحة هذا الأصل من خلال هدم الكعبة وتقويض بنيانها فسيّر جيشه لتحقيق تلك الأمنية ، وذات الفكرة اليوم تتجدد في عقول أتباعه وهاهم يجهدون في هدم وتشويه أصول الإسلام الكتاب والسنة في صور كثيرة تتجدد مع تجدد الزمان! من تلك الصور التشكيك في صحيح السنة ، والتركيز على المتشابه من النصوص ، وإثارة الخلاف فيها ، وفي المسألة قولان ، وثلاثة ، والحديث ضعيف حتى لا يكاد يستقيم لك نص تجري عليه فصول دينك في مستقبل الأيام . وما عاقل أحوج منه اليوم إلى تعظيم الوحي وإجلال شعائره والقيام بحقه وتقديس مفاهيمه وأخذه من أهله الذين زكاهم الله تعالى في كتابه (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

...

- وعلمتني : ضرورة العناية بأصول الإسلام وإجلالها وأن هذه الأصول (الكتاب والسنة) أعظم مفاخر الأمة على الإطلاق وهي خارطة الطريق وبوصلة الشمال ! وليس في الأرض كلها أمة من الأمم تملك خارطة ترى بها معالم الطريق أوضح ما تكون كهذه الأمة ومن عرف هذا المعنى تمسّك بها وجهد في حفظها وضبطها ويمم وجهه إليها حتى يأذن الله تعالى له فيها ومن خلالها بالحياة . فواجب حفظ هذا الوحي كبير وعظيم سواء من خلال زيادة فتح حلقات التحفيظ كتاباً وسنة ، أو التدريس فيها لمن يملك القدرة ، أو شرح مضامينها وتعليم مفاهيمها لعموم المسلمين ، أو بعث أبنائنا إليها ودعمها

مالياً وفكرياً واجتماعياً حتى تصبح أول وأهم المفاهيم التي تأخذ حظها من عقول أبناء هذه الأمة وتكون جزءاً مهماً ومؤثراً في بناء منظوماتهم الفكرية والتربوية في مستقبل الأيام .

...

- وعلمتني : أن عدوك لا ينفك عن عدائك وأنه أحرص ما يكون على حربك ومواجهتك بكل الوسائل الممكنة لديه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فلا تظنّن يوماً أنه سيتخلى عن حربك ومواجهتك ، ومن فقهمك وكمال وعيك أن تفقه هذه الحقيقة جيداً ، وأن تكون مستعداً غاية الاستعداد لمجابهة تلك الحرب المنظمة من خلال إيمانك بدينك ، ويقينك بحقائقه ، وثباتك على قيمك ومبادئك ، وأن تتحصّن بالعلم حتى تكون أقدر على مواجهته في معركته القادمة معك . لقد حاول أبرهة بكل ما يملك من قوة وعتاد أن يهدم الكعبة ويقوّض هذا البنيان ويهدم ذلك الأصل الكبير حتى يستطيع أن يمرر أفكاره ومفاهيمه كما يشاء ، وعدو اليوم أمكن ألف مرة في أدوات الحرب التي يملكها وآلة حربه اليوم قضايا الأفكار والمفاهيم التي يريد أن يدير بها ومن خلالها استبدال مفاهيم وتصورات دينك وإحلال مفاهيم وتصورات جديدة في مستقبل الأيام .

...

- وعلمتني : أن دين الله تعالى سيظل حياً قادراً على البقاء مهما كانت قدرة العدو الذي يواجهه . لقد أقبل إبرهة بكل ما يملك وتركت قريش البيت له وكان الطريق فسيحاً أمامه فتولى الله تعالى شأنه ، ولم يتكلف له في شيء وإنما بعث له طيراً تحمل أحجاراً صغيرة جداً وجعلهم عبرة للتاريخ (فأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول) وإنك حين ترى تلك الجنود التي حشدها ذلك الطاغية ثم ترى تلك النهاية التي

صاروا إليها (فجعلهم كعصف مأكول) ومن طير في أفق السماء لتعلم يقيناً أن هذا الدين سيبقى ما بقيت الحياة ، وأن كل صور الكيد والمعارضة التي تواجه هذا الدين مصيرها الفشل والإخفاق والتاريخ شاهد على ذلك ، وما مصاولة فرعون ، وأقوام الكفر من زمن نوح إلى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم إلا بعض صور تلك الحقيقة الكبرى وفي النهاية إلى الضياع .

...

- وعلمتني : عظيم قدرة الله تعالى ، وأن الله تعالى إذا أراد أمراً قال له كن فيكون إن الناظر إلى الصورة والمشهد في بدايته لا يكاد يشك أن الكعبة إلى زوال ، وأن هذه نهاية بيت الله تعالى من الأرض ، وأنه لا يبقى أصل يتهادى إليه العالمون في مكان ثم ما هي إلا لحظات والقوم صرعى كالزرع الذي أكلته الدواب وألقت عليه بأقدامها حتى جعلته رفاتاً وبانت الحقائق أظهر ما يكون! وما أكثر هذه المشاهد في أعداء الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا وما زالت تتكرر وتتعدد مشاهدها والمصروف من صرفه الله تعالى عن هذه المشاهد وألقى به إلى الضياع . وفي الحديث (إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) وقرأ قول الله تعالى (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)

...

- وعلمتني : عاقبة المعصية وشدة خطرها وسوء شؤمها على أصحابها ولا أدل على ذلك من منظر أولئك الطغاة وهم صرعى على الأرض بعد أن كانوا يرفلون في النعيم كما يشاؤون (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل) . لقد أخذ منهم الغي والباطل كل شيء وبلغ من نفوسهم كل موقع ونسوا كل عبرة وطغوا حتى تطاولوا على الله تعالى ورأوا أنهم أقدر على هدم بيته ومواجهة دينه وقتل أوليائه وكذلك تفعل المعاصي

بأصحابها ! يخرجون كل مرة من عنق الزجاجة ، وتفرج عنهم أبواب السجون ويعودون لذات المكان من جديد ، وتجري عليهم أحداث الفشل والإخفاق من جديد . ومن قرأ فصول التاريخ أدرك ما تصنع المعصية بأصحابها في النهايات .

- علمتني سورة قريش : أن (الوحدة والاجتماع والائتلاف) في بيت وأسرة ومجتمع من أعظم النعم التي يجب أن تأخذ حظها من الشكر والعرفان ! وضياع هذا المعنى في واقع ما ضياع لكل شيء ، وليس وراء ذلك إلا الفرقة والشتات والفوضى . إن الله تعالى يمتن على قريش بهذا الاجتماع الذي صنعه لهم وأمّنهم في رحلاتهم وطلبهم رزقهم ذاهبين راجعين وهم آمنين مطمئنين(للإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) وقد قال صلى الله عليه وسلم (من أمسى آمناً في سربه عنده قوت يومه وليلته فكأنما حيزت له الدنيا كلها) ومن حُرم شيء من ذلك فقد حرم كل شيء ، وما يصنع آمن في سربه لا يجد ما يسد به جوعه ! وما يفعل إنسان بأرزاق الدنيا كلها بين يديه وهو لا يستطيع أن يرفع لقمته إلى فمه من الخوف ! ووعي هذا المعنى ورعايته يجب أن يبدأ من الفرد فيكون صالحاً للاجتماع والائتلاف في بيته وأسرته وعمله ومشروعه وأي خلاف يصنعه الفرد في تلك المساحات هو ثقب الغرق في سفينة النجاة العامة في النهاية ، وقل مثل ذلك في حياة كل ابن وزوج وأب في كل بيت وأسرة وحي ومجتمع !

...

- وعلمتني : أن عبادة الله تعالى أعظم معاني الشكر ، وأن من أقبل على الله تعالى صادقاً وعظّم شعائره وأدى واجباته فقد أتى على شكر نعم الله تعالى وقام بحقها من الإجلال ! وأدركت حينها أن الشكر ليس تلك الكلمات التي نرددها على ألستنا دون أن تأخذ حظها من قلوبنا ومشاعرنا ، ولا تلك السبحة الطويلة التي يدار خرزقها في كل مرة ولا نشعر إلا بنهايتها وإنما هو

استشعارها في قلبك وجوارحك ، والفرح واللذة بها وإذا عرف قلبك هذه النعم أجلها وعظمها وقام بحظها وجرت الحياة في قلبك ألف مرة وإذا أخذت حظها من قلبك جرت على لسانك في كل لحظة ، ومن ثم استثمرتها في طاعة الله تعالى والتقويّ بها على مراضيه ! وكم من شاكر بلسانه وهو عاكف على معصيته! وكم ممن يجري خرز مسبحته على يديه كل لحظه وهو أعظم الغافلين عن القيام بحقه ! وما تغني الصور عن الحقائق في شيء ! والموفق من وفقه الله تعالى .

- علمتني سورة الماعون : أن الإسلام كما هو علاقة بين الخالق والمخلوق فهو كذلك علاقة بين المخلوقين بعضهم البعض ! وأخطر المفاهيم التي تواجه كثيرين اليوم هذا الفصل الشائع بين المعنيين مما ولّد خصاماً سافراً في الواقع فترى حريصاً على شعائر الله تعالى من الصلاة والصيام وغيرها من العبادات وهو ذاته الذي لا يتحرج من الاعتداء على حقوق الاخرين فيأكل مال يتيم ، ويعبث بحق زوجه ، ويعتدي على جاره ، ويظلم عامله وتجري منه فصول كثيرة وهو لا يكاد يتخلّف عن مساجد الله تعالى في شيء ! وإذا أعدت قراءة هذه السورة مراراً فسترى هذه الحقيقة المرة والتي يصوّر فيها القرآن أن أعظم صور التكذيب بيوم القيامة وأشدها أثراً في حياة صاحبها عدم رعايته لحقوق هؤلاء الأيتام والمساكين (أرأيت الذي يكذب باليتيم . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على كعام المسكين) إن المتأمل في حياة المسلمين اليوم يرى فوضى كبيرة ومخلة في هذا المعنى ترى فيها المصلي الصائم التالي لكتابه تعالى هو ذاته القاطع لرحمه ، والمخاصم لجاره ، والمختلف مع زوجه ، وهو ذاته الذي تدار المعارك صباح مساء مع أبنائه ثم إذا أذّن المؤذن للصلاة يمم وجهه إلى بيت الله تعالى مصلياً متعبداً حافظاً لهذا الحق العظيم ثم ما أن يلبث أن يخلع كل تلك العبادة مع أول قدم يخرجها من المسجد وتبدأ فصول الخصومة والنزاع وأكل أموال الضعفاء والظلم تجري في فصول حياته في يومه وليلته زمناً من الدهر ، وهذه آثار ذلك الخلل الكبير في الأفكار والمفاهيم والتصورات حتى تكوّن هذا الفصل الكبير في مفاهيم العبادة فأخذت هذه الأخطاء مساحتها من واقع الأمة .

...

- وعلمتني : أن الإسلام يرعى حقوق الضعفاء والفقراء والمساكين ويعتني بشأنهم ويخاصم من يؤذيهم أو يقف لهم في عرض الطريق للدرجة التي يجعل من أعظم صفات المكذبين بيوم القيامة من لا يرعى تلك الحقوق أو يقوم لهم بتلك الواجبات ، وإذا أردت أن تعرف حقوق هؤلاء فاقرأ نصوص الوحيين بوعي تجد كل شيء ! هذا الإسلام يدعوك لرعاية هذه الفئات والقيام بشؤونهن والسعي لهن بكل ممكن وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) ، وقال صلى الله عليه وسلم (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) فتأمل هذه المعاني وانظر لأثر هذه الثغور التي تجعل ملازمها أقرب الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكالواقف على ثغور الجهاد وهو لم يخرج قيد شبر ! فكيف إذا أدركت أن هذا العمل موجب لحصول بركات الرزق والنصر قال صلى الله عليه وسلم (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم) وهذه المعاني من فروض الكفايات متى ما تُركت لحق الأمة بفواتها إثم كبير ، وهي أحوج ما تكون إلى صاحب راية وتخصص يرفع عن الأمة إثمها يوماً من الدهر ، وأنت انظر إلى واقعك من هذا المعنى الكبير ، وتأمل سيرتك في رحاب هذه المساحة ، واجعل لنفسك منها نصيب الفالحين بما تستطيع ، وكم من وقت أو جهد أو فكرة أو مساحة عمل في ظلال هذا المعنى جرى عليك بنعيم الدارين !

...

- وعلمتني : أن عنايتك بأولوياتك والاهتمام بها من أعظم ما ينبغي أن يسيطر على تفكيرك حتى تأتي منها على أمانيك ، وقضية الصلاة أول ما ينبغي أن

تكون في سُلّم أولوياتك وقد بلغك أنها ركن الإسلام الثاني ، وتاركها كافر والعياذ بالله تعالى ، وأول سؤال تُسأله عنها بين يدي الله تعالى يوم القيامة وفي الترمذي وصححه الألباني قال صلى الله عليه وسلم (أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة) وظل نبيك صلى الله عليه وسلم يوصى بها وهو في سكرات الموت (الله الله في الصلاة) وإذا كان المصلي متوعد على فوات بعض حظوظها من واقعه وهو يصلي فكيف بمن فرّط فيها وضيعها من أصلها والله المستعان ! إن من فقهك أن تحل صلاتك وأن تتوجه إليها مع أول صوت المؤذن وأن تتهيأ لها غاية وسعك ثم إذا أقبلت إليها أقبلت وأنت تعلم أن الله تعالى قبالة وجهك وأي انصراف بقلبك عنها مؤذن بانصراف الخيرات بين يديك ، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى : والصلاة مجلبة للرزق ، حافظة للصحة ، دافعة للأذى ، مطردة للأدواء ، مقوية للقلب ، مفرحة للنفس ، مذهبة للكسل ، منشطة للجوارح ، ممدة للقوى ، ، شارحة للصدر ، مغذية للروح ، منورة للقلب ، حافظة للنعمة ، دافعة للنقمة ، جالبة للبركة ، مبعدة للشيطان ، مقربة من الرحمن ، وبالجملة : فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما ، وما ابتلى رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المصلي منهما أقل وعاقبته أسلم . اهـ

...

- وعلمتني : بأن أخطر الأمراض التي تواجهك ليست الأمراض الحسية التي يمكن علاجها في أقرب مشفى ، وإنما الأمراض المعنوية التي لا يعتل منها جسدك الظاهر ولا تلقى لها عقبات مباشرة في طريق يومك وليلتك ولكنها تنخر في حياتك وتذهب بعملك وتضيع جهدك وتُسفّك الرمل الحار بعد كل

عناء وجهد ووقت قال تعالى (الذين هم يراؤون) الرياء : أن تعمل عملاً في أصله قربة لربك وفي حقيقته رغبة في مدح من حولك واستكثاراً من شكرهم وتقديرهم فلا أنت الذي عبدت ربك ولا أنت الذي لقيت من المخلوقين ما يعوض جهدك وتعبك ! كم من عمل كبير حقّرته النية ! وكم من عمل صغير عظّمته النية ! وقد قال الفضيل رحمه الله تعالى : إنما يريد الله تعالى منك نيتك . وقال سفيان رحمه الله تعالى : ما عالجت شيئاً أشدّ عليّ من نيتي ، وإذا أردت أن تعرف خطر الرياء فتأمل حديث ربك في الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من أشرك معي غيري تركته وشركه) ، وحديث الثلاثة (المجاهد ، وحافظ القرآن ، والمتصدق) الذين جهدوا وتعبوا وبذلوا ولكن في غير طريق وفي النهاية هم أول من تسعّر بهم نار جهنم يوم القيامة ، وكل واحد من هؤلاء يقول لربه إنما فعلته من أجلك فيقول كذبت إنما فعلته من أجل كذا وقد قيل ! فيمم وجهك إلى ربك ، واصدق معه قدر وسعك ، وأكثر من الأعمال الصالحة فيما بينك وبينه وسله أن يسل من قلبك عاجل ثناء المخلوقين ويقبل بك عليه إنه جواد كريم .

...

- وعلمتني : أن ثمة أخلاق لا تليق بالكبار ، ولا تصلح للمؤمنين في شيء ، وهي أخلاق البخل والشح قال تعالى (ويمنعون الماعون) وليس الماعون هو قدرك ودلوك الذي تمنعه الآخرين ، وإنما يجري في صورة كثيرة تفوق الحصر منها طالب علم ظن بكتبه ومذكراته التي كتبها على زميل محتاج لها ، وصاحب علم قعد في بيته رغم حاجة مسجد الحي لإمام أو لدرس ، ومنها مَن منّ الله تعالى عليه بجاه ومسؤولية ومكانة ولكنه لم يستثمرها في مشروع لدينه ومنهجه

وظل كلاً على من حوله ، أو ذلك الذي أعطاه الله تعالى مالاً ثم لا يجد ما يسد به جوعة محتاج أو فقير أو مسكين ! وتجري هذه الصور في حياة إنسان معه سيارتان ولا حاجة له على الأخرى وجاره محتاج لها وهو يبخل بها ، أو زميل يملك رصيداً من علم الفرائض ، أو الحاسب ، أو اللغة الإنجليزية ولم يهب لمن حوله من ذلك شيئاً ، أو تلك التي تملك فستاناً للفرح ولكنها ضنّت به على من تحتاج إليه في حالك الظرف. وهي دعوة في المقابل أن تكون كريماً جواداً باذلاً معطاءً سواء في طاقاتك وقدراتك ومهاراتك، أو في مالك وشفاعتك ، أو حتى في طلاقة وجهك وكن جزءاً من الحياة ومساحة من الربيع تلقى كل شيء .

- علمتني سورة الكوثر : حب الله تعالى لأوليائه ورعايته لهم ودفاعه عنهم وتذكرك بقول ربك تعالى في الحديث القدسي (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) حين وصف الكفار نبي الله تعالى بأنه أبتر لا عقب له وأنه لا يأتي له ولد إلا مات وعيّروه بذلك تولى الله تعالى الدفاع عنه وأغدق على مشاعره برد تلك التهم الفارغة وأخبره بعطائه الكبير وسلاّه بأنه هو الواصل وغيره المقطوع (إنا أعطينك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر) ومن قرأ تفاصيل هذا المعنى في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم جرت الحياة في مشاعره إلى أقص مدى ! وفي الحديث القدسي قال الله تعالى (وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) فتأمل هذه الصورة وقارنها بتلك التي تولى الله تعالى فيها الدفاع عن نبيه وواجه أعداءه وسلى مشاعره وكفاه مؤنة أولئك الأعداء لتعلم قول الله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) وإذا كانت الحقائق كذلك فاعقد العزم على صناعة هذه الولاية في واقعك وستجري أحداثها الكبرى في حياتك يوماً من الدهر .

...

- وعلمتني : أن الثبات على الحق والصلة بالله تعالى والانشغال بالعمل الصالح أعظم ما تواجه به عدوك ، وأكبر الردود على المعرضين من حولك حين يتوجه إليك عدوك ويقف في وجهك ، ويزاحم طريقك ، ويقف نداً لك فلا تنشغل بالرد عليه والخصام معه والانشغال به وتنصرف عن مشروعك وفكرتك وقضيتك بل توجه إلى ربك وأقبل عليه واصلح ما بينك وما بينه وهو تعالى سيتولى عنك كل شيء ، ترى في السورة أن الله تعالى لم يدل رسوله صلى الله عليه وسلم الله على الدفاع عن نفسه وتبرئتها مما عيروه به وإنما دله على العبادة وأوصاه بأن يمسك بالطريق من خلال هذا المعنى الكبير (فصل لربك وانحر) ما أكثر ما يعرض لنا العدو في الطريق ! وما أكثر ما يشوّش علينا مشاريعنا ويوقفنا عنها دون وعي . كم هي الأحداث التي داهمت الأمة وما زالت وكم أخذت منا من متابعة لأخبارها وتحليل لمجرياتها وفرز لأحداثها وما إن تنتهي حتى تبدأ حرب أخرى بذات الصورة وفي مساحة أخرى وتأخذ منا ذات الأوقات أو أكثر ثم تضيع أعمارنا في تلك المساحات فلا نحن الذين دفعنا بمشاريعنا للأمام ، ولا نحن الذي أقبلنا على الله تعالى وأجرينا الحياة في نفوسنا من خلال ذلك المعنى الكبير ، وربح العدو مرتين مرة في مساحة الأرض التي قرر فيها الحرب ، والأخرى في المساحة التي هو بمنأى عنها حين أشغل بعضاً من خصومه عن مواجهته الفعلية بالهوامش والفوضى في عرض الطريق. تعلم في كل مرة ألا تنشغل بعدوك إذا لم تكن في أرضه ومساحته التي يجري فيها الحرب واعتبر تلك الدائرة على الإسلام في مساحة ما فرصة لتمتين دينك والعناية بمشروعك حتى إذا ما انتهت الحرب فإذا بك متيناً كبيراً في مساحاتك

ودائرتك ، ولن تعد فكرة أو دعوة أو مشاركة تسهم بها في عون أخيك المسلم هناك ولا تأخذ منك زمناً .

...

- وعلمتني : أن إدارة الأولويات أعظم ما ينبغي أن تنشغل به في يومك وليلتك (فصل لربك وانحر) ! (فصل لربك وانحر) في غمرة الأحداث التي تواجهك ، والظروف التي تعترضك ، والعقبات التي يشنها العدو في طريقك ، وهي رسالة ألا يعيقك عن مشروعك وفكرتك وقضيتك الأم شيء آخر ، وأن أعظم شيء تواجه به معارك الخصوم طاعتك لربك ورعايتك لأولوياتك وانشغالك بفكرتك مهما كانت الخطوب من حولك . في مرات كثيرة وفي خضم ظروف الحياة الضخمة تواجه الإنسان مشكلات وعقبات في الطريق يختل فيها توازن الإنسان وأولوياته وينشغل بها للدرجة التي تذهب أوقاته أعز ما يملك في مواجهة تلك المشكلات أو محاولة إصلاحها وترميمها ، ووصية الوحي لك أن تعود إلى ربك وتعيد بناء نفسك من خلال إحياء علاقتك به تعالى ، ولله كم من عوائد لهذا المعنى على صاحبه ! وكم من أفراح تغشى مشاعره ! وكم من أحداث ربيع في فكرته ومشروعه وقضيته ! ومن قرأ وصية الله تعالى الكبرى لنبيه صلى الله عليه وسلم في باكر تكليفه (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً) أدرك هذا المعنى الكبير بجلاء ومثلك أوعى بفقه درسك وأعرف بأولوياتك وأعظم من تجري عليك مشاهد زمانك ثم لا يكون لك فيها ذكرى وعظة ! إذا دهمتك الأحداث فيمم وجهك إلى الله تعالى ، وأدم الوقوف بين يديه، وأطل سجودك ، وأحسن التضرع إليه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وليكن

هجيراك يارب ، يارب وستجري لك فصول الربيع من جديد وتحين موعد القطاف .

- علمتني سورة الكافرون : قضية التوحيد وهي توؤسس في نفسك أن إقبالك على ربك وتمحّضك له وتوجهك إليه أجلّ ما تعبدت به له ، وأعظم ما قضيت به أوقاتك ، وكل عبادة من عباداتك إنما هي سقاء لذلك المعنى الكبير فيما بينك وبين ربك . وتقرر لك في ذات الوقت أن الأحق بقلبك ومشاعرك وسؤالك وتوجهك هو الله تعالى وحده وما عداه لا شيء . تخلّص من كل شيء يأخذ حظاً من قلبك ومشاعرك ، وتجري له مساحة في وجدانك ، واجعل قلبك لربك وحده تعالى ودعك من الشركاء فهم لا يغنون في شيء (قل يا أيها الكافرون ؟ لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين) وتؤكد لك أن توحيدك لا يستقيم إلا بركنين اثنين : الأول إخلاصك له تعالى ، وصرفك كل أنواع العبادة له ، والثاني : براءتك من الشرك وحذارك من أهله ، وليس أعظم في حياتك من هذه الحقائق الكبرى ، ومتى استقام هذان المعنيان في قلبك ومشاعرك وجرت معانيها في واقعك فقد استقام لك كل شيء ! لا أعلم حرية أجل من حرية التوحيد ، ولا نَفَس عزة أضخم في قلبك ومشاعرك من نَفَس التوحيد ، ومن صح له توحيده صح له كل شيء ، ومن قرأ الوحي والتاريخ بعين المعتِبر رأي الحقائق رأي عين وعاش بهيجاً بالحقائق التي يحملها حتى ذلك اليوم .

...

- وعلمتني : أن الحق أكبر من أن يتسول المعرضين في منتصف الطريق وهذه المفاصلة التي يصنعها النبي صلى الله عليه وسلم مع الكافرين في أول خطوات

الدعوة لدين الله تعالى (قال يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون) وفي مواجهة العدو المتمكن في الأرض تلك الحقبة مع الحاجة للمهادنة دليل على أنه ليس هناك نقطة يلتقي فيها دين الله تعالى مع الباطل إلا على سبيل الرضا بأن دين الله تعالى هو الحق وما عداه باطل لا قيمة له ، وكل مشاريع التقريب التي يراد لها اليوم أن تأخذ حظها من الواقع تظل في مواجهة هذه المفاصلة الكبرى التي تصنعها سورة الكافرون بالأمس واليوم وإلى قيام الساعة ، وإذا أدركنا أننا نتحدث مع كافر (قل يا أيها الكافرون) علمنا أنه لا سبيل للتقريب مع ضال لا علاقة له بالوحي في شيء . جاء الإسلام ليكون هو المهيمن على الأرض ، الباسط فيها نفوذه ، صانع الحضارة الروحية والمعنوية والحسية للعالمين وما عداه من النظم إنما هي ظلام وإن تبدّت في صورة حضارة مادية تسقي الأحياء منها ما يشاؤون في أول الأمر . وأسوأ الحقائق حين نريد أن نمزج بين الظلام والنور ونقرّب بين الحقائق والأوهام ونعقد صلة بين الحق والجاهلية في آن واحد . الإسلام هو دين الله تعالى الحق وهو الأقدر على منح الحياة حقها من الجمال وليس في الأرض كلها دين غيره أو شيء صالح للحياة.

...

- وعلمتني : أن وصف الإنسان بما هو فيه منهج شرعي (قل يا أيها الكافرون) وكل ملة لا حظ لها من دين الله تعالى فهي ملة كفر وأهلها كافرون وكل دعوى تخالف هذا المعنى فهي جاهلية تعارض الحق وتقف له في منتصف الطريق ، وثمة أصوات تخاصمك حين تقول لصاحب الكفر كافر ، ومعتنق النفاق منافق وتريد منك أن تتحضّر في لغتك زعموا وتسموا على كل الخلافات الجوهرية وتقول في خطابك لكل هؤلاء (الآخر) وفات كل هؤلاء أن الذي يقرر هذا

المعنى الكبير هو الله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ! وأفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا عن الحياة كلها بلا استثناء يجب أن تجري وفق هذا الوحي لا تتخلّف عنه في شيء ، وأن كل فهم أو تصوّر يخرج عن نطاق هذا الوحي فهو ضلال لا قيمة له في شيء غير أن من الوعي أن تفهم جيداً أن تقرير قضية الكفر وتمسك أهله به لا يعني سلب حقوقهم أو الاعتداء عليهم وظلمهم في شيء ، وإذا أرادوا أن يبقوا على ملتهم فالإسلام يُقرهم على ذلك وفق شروط حددها وبيّنها ، وأنه ليس ثمة تعارض بين وصف الإنسان بما هو فيه والتعامل معه بأرقى صور الاحترام والتقدير وقد بسط الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) وأخطر ما يُعبث به في زمانك (الأفكار والمفاهيم والتصورات) فكن من أمرك على يقين .

...

- وعلمتني : أن الثبات على القيم والمبادئ من أعظم ما يميّز أصحاب الحق وأنه مهما كانت الظروف التي تواجههم في تلك الحقبة أو تقف في طريق أحلامهم لا يمكن أن يتنازلوا عن مبادئهم وأفكارهم وقضاياهم التي يحملونها حتى يأذن الله تعالى بآمالهم التي يحلمون بتحقيقهم يوماً ما . إن دور المصلحين سواءً كان آباءً أو دعاة أو مربين إيضاح الطريق وإقناع العالمين به وبيان ما فيه من الحياة ليس إلا وما بعد ذلك فالأمر لله تعالى من قبل ومن بعد وهذا المعنى الكبير في بداية الدعوة (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين) بيان لتلك الحقيقة في أول أيام الدعوة وأول بشائر الحق في

الأرض فأما اليوم فقد بان كل شيء وانجلت غبار الأوهام وبات كل شيء أوضح من الشمس في رابعة النهار . لقد عُرض على النبي صلى الله عليه وسلم في باكر الدعوة الأموال والزواج وكل شيء من أجل أن يتوقف عن فكرته وقضيته وعقيدته الكبرى فما زاد على أن قال (ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على تشعلوا لي منها شعلة) أي الشمس ! حسنه الألباني وتحمل في سبيل ذلك الثبات كل وسائل التعذيب من سجن وحصار وطرد وإبعاد وخروج من بلده وتحمّل أعباء الغربة وكُسرت رباعيته ووضع سلى الجزور على رقبته وما زاده ذلك إلا يقيناً بالحق الذي معه حتى جاءت الحقائق تزدلف بين عينيه وحان موعد النصر الكبير ودخل مكة ورأسه يطاول السماء وعاد جملة كبيرة وأعداد ضخمة من أمم الكفر مسلمة مؤمنة بدين الله تعالى وآمنت بالأفكار الجديدة وأعلنت ولاءها للعقيدة التي يحملها صلى الله عليه وسلم وجرت الحياة كما يريد الله تعالى وصنع الثبات حقائق التاريخ كما يشاء .

- علمتني سورة النصر : أن تحقيق أحلامك ، وبلوغك آمالك سيأتي ولو بعد حين ! كم بين هذه الحقيقة التي يخبر الله تعالى بها في هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً) وبدايات الدعوة ، وصراع العقبات ، وأحاديث النصر والهزيمة ! كم بين هذه البشارة الضخمة التي يتلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدايات الطريق وأيام المحن والبلاء وحوادث الزمان التي مر بها صلى الله عليه وسلم في تلك الحقبة من الزمن ! من كان يقول بأن الذي وقف على الصفا وحيداً هو الذي سينتصر في النهاية! أو من كان يتوقع أن الطريد من أرضه ، والمحصور في شعب أبي طالب ثلاث سنوات حتى أكل ورق الشجر هو الذي ستشرق له شمس النهايات بالنصر والتمكين ! نجاحك مرهون بصبرك وبلائك في الطريق ، و المشاريع الضخمة والأفكار الكبيرة تحتاج إلى نوع من التضحيات يليق بها ويصنع لها الحياة . تذكّر وأنت في الطريق إلى تلك الأحلام هذه النهايات فما من طريق إلا وله نهاية ، وما من بداية إلا وتنتظر الخواتيم ، وغداً سيحين ربيع أيامك وتجري أحلامك كما تشاء وتلقى كل غيب كنت بالأشواق إليه وإنا غداً لناظره لقريب !

...

- وعلمتني : أن النجاح الذي يتحقق لك في النهايات ، والفوز الذي تلقاه في الخواتيم إنما هو توفيق الله تعالى وهدايته لك وليس لك من ذلك إلا بذل الأسباب ، لقد بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينه ومنهجه كل شيء حتى أنه جُرح وشج وجهه وكسرت رباعيته ووضع سلى الجزور على ظهره

وحصر في شعب أبي طالب سنوات وطرد من بلده وعاش غموم الحياة ويخبره الله تعالى في النهايات (إذا جاء نصر الله) نصر الله تعالى وليس نصرك ، وتوفيق الله تعالى وليس ذكاؤك ، وعطف الله تعالى عليك وليست قدراتك ولا مهاراتك ولا إمكانات ، ليس نصرك ولا جهدك ولا تعبك وإنما نصر الله تعالى ومحض توفيقه وتفضله عليك فاحمد الله تعالى وتذلل له واشكره على كل ما تحقق لك فهو الذي اختارك واصطفاك لذلك المعنى الكبير ، وهو الذي شرح صدرك له ، وأقبل بك عليه ، ويسر لك الطريق ، ودفع عنك العقبات وأعانك وما زال بك حتى جاءت تلك الأماني كما تريد واحفظ وصية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في مشاهد الختام (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وما جرى مع رسولك صلى الله عليه وسلم سيجري عليك لا فرق ، فالدين دين الله تعالى ، والأمر أمره وله كل شيء وحسبك بذل الأسباب والناصر هو الله تعالى وكن على يقين بأن ما يجري لك من نصر وتمكين في طريقك إنما هو فضل الله تعالى عليك وآمن أنك بالله وأنت بدونه لا شيء .

...

- وعلمتني : أن قناعات الناس بالحق الذي معك ، وإيمانهم بأفكارك ، وقبولهم لقضيتك لا تأتي في العادة مبكراً بل قد يطول زمان انتظارها كثيراً فإياك واليأس من الانتظار ! الأفكار الضخمة والمبادئ الكبرى تحتاج إلى زمن طويل حتى تأخذ حقها من قلوب الناس ومشاعرهم ، كم مرة قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ؟ وكم مرة خاصموه وجفوه وضربوه في سبيل مدافعتهم لتلك الأفكار التي تريد أن تخلصهم من ضلالهم وتبني لهم الحياة ؟ كم مرة انفض ذلك الاجتماع الكبير نفوراً من تلك

المفاهيم التي يطرحها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وكم مرة خاصموه (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) ؟! ولكنه صلى الله عليه وسلم كان مصراً على مدار عشر سنوات وعلى ذات الفكرة والمفهوم والقضية (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) حتى حان موعد الأحلام ! حتى تعلم أنه إذا آمنت بفكرة أو قضية أو مشروع وأردت له الحياة فلا بد أن يرضع أولاً من قناعاتك حتى الري ثم إذا خرجت به للعالمين عاش حياً حتى يحين موعد الأفراح ! تخيّل تلك الحقبة من الزمن وتلك الفئات تخاصم وتنازع وتجادل وبل وتقاتل دون التخلي عن الأفكار التي عاشوا عليها والمفاهيم التي رضعوها من زمن الجاهلية وظل النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً بربيع الحياة القادم ويحين ذلك اليوم وتتخلى تلك الأجيال عن الجاهلية من أصلها وترضى بحلول الأفكار الجديدة في واقعها بل تتبنى الأفكار الجديدة وتؤمن بالعقيدة الكبرى وتصبح جنوداً مرابطة في الثغور بعد طول انتظار . لله ما أحوجنا للصبر قليلاً ، وما نراه بعيداً هو في الحقيقة أقرب ما يكون وكل شيء أردنا له الحياة فلا بد أن يجري في فلك الصبر والانتظار حتى يحين موعد فجره القادم بإذن الله تعالى .

- علمتني سورة المسد : قضية المشروع وأهميته في حياتك ودوره في بقاء ذكرك حياً في العالمين وما أنت بحاجة إلى شيء حاجتك إلى اعتناق (مشروع عمر) تبذل فيه وقتك ، وتصرف له جهدك وفكره وتناضل من أجله ما بقيت حياً! وتذكرك السورة بأن من كمال عقلك وفقهك ووعيك أن تكون أفقه من أبي لهب وأولى منه بمشروع الحياة ! لقد عاش هذا الضال بذات الفكرة ، وكوّن له مع الأيام قضية ومهمة في الضلال وبقي ينازع فيها الإسلام وأهله حتى مات وهو على باطل ، أفلا يكون لك مشروع عمر وقضية حياة تستميت فيها كما استمات فيها ذلك الضال فتعيش كبيراً في أمتك وصانع حدث ضخم في مساحتك ، وصاحب ذكر حسن بعد رحيلك ! لقد عاش أبو لهب يطارد النبي صلى الله عليه وسلم وكلما وقف في مكان يدعو الناس لدين الله تعالى قال هذا الضال أنا عمه وهو كاذب صابئ ! وليس هذا الموقف في يوم أو شهر أو عام وإنما أفنى فيه عمره حتى ودّع الدنيا . أفلا تكون أنت أقدر على فكرة تصنع بها مجداً لدينك ، وتدفع بها آماله وآمالك الكبار ، وتكتب بها حظك في الدارين ! الحديث عن مشروع حديث عن قضية كبرى بكامل تفاصيلها وأحداثها ، مشروع تتضح في ذهنك أهدافه وتستولي فكرته على فكرك وعقلك وتبذل فيه جميع طاقاتك ، وكل فكرة لا تقتات من قلب صاحبها لا تستطيع أن تعيش مستولية على فكره وعقله ويبذل لها كل شيء فخذ مشروعاً يتوافق مع طاقاتك وقدراتك وإمكاناتك وابدأ رحلة الأشواق إليه وقريباً بإذن الله تعالى تجري أرباحك كما تشاء .

...

- وعلمتني : أن أبا لهب وهو على فكرة ضالة استثمر كل طاقاته وإمكاناته وقدراته لصالح مشروعه الباطل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) فَجَنَّد له ماله ومكانته ووقته وبذل في سبيله كل شيء ، وإذا كان هذه حال صاحب الباطل مع أفكاره ومفاهيمه وتصوراته فلا أقل من أن تضرب بسهمك في الحق الذي معك وتشارك بكل ما تملك ، وإذا كان للباطل رجل فللحق ألف رجل ! يجب أن تؤمن أن الرجال بأفكارها ومفاهيمها وتصوراتها والمجتمعات الناهضة لا تحسب بكثرة أفرادها وإنما تحسب بفاعلية أولئك الأفراد! ومن فقهك ووعيك إذا اعتنقت فكرة ، وأخذت قضية ، وتبنيت مشروعاً ، ووقفت على ثغر لأمتك أن تحوّل له كل شيء وأن تبقى فيه لا تتنازل عنه ما بقي بك الزمن ، ومثلك أوعى ألا يكون الشقي الضال أولى منك بفكرة الحياة التي تستحق النضال ! ما أحوجنا اليوم إلى تبني الأفكار والعيش لها والبذل في سبيلها والتضحية من أجلها حتى نوردها النهايات . وقد جرت السنن أن من أخذ شيئاً بحقه جرت أحداثه الكبرى بين عينيه فضلاً عن مشاهد الختام الكبرى بين يدي الله تعالى ! يمكنك أن تتأمل في فكرك وقلمك ووقتك وجاهك ووظيفتك ثم ترى ما الذي يمكن أن تركّز عليه منها ثم تصنع بها ومن خلالها الحياة .

...

- وعلمتني : أن صاحب المشروع والقضية والفكرة المدهشة لا يكتفي بها في واقعه فحسب وإنما يجري أحداثه في كل من حوله بدءاً بأهل بيته ومروراً بالعالمين من حوله ! لقد عاش أبو لهب فكرته ومشروعه وقضيته وما زال بها حتى أقنع زوجه بكل تفاصيلها فخرجت من بيتها وحملت فكرته وحملت

حطب المعارضة على ظهرها وخرجت تلقي به في طريق النبي صلى الله عليه وسلم أمام العالمين . إن أبا لهب لم يكتف بأن صنع من زوجه الضالة جمهوراً مشجعاً ورافداً كبيراً لفكرته ومشروعه فحسب وإنما جعلها من أنصاره وأعوانه حتى خرجت بذات الفكرة تنوء بأثقالها في العالمين ! وما حاجتنا اليوم لشيء حاجتنا لزوج يقنع زوجه بحجابها الشرعي ، ويغريها بفكرته وقضيته ومشروعه الكبير حتى تشعر برواء الإسلام في مشاعرها قبل أن يقنعها بحمل أثقال المشروع في مستقبل الأيام ، وقل مثل ذلك في حق الزوجة التي تعيش مشروعها من خلال تربية أبنائها ليكونوا أنصاراً في مشروع الإسلام الكبير وأعواناً له في الطريق ! ومثل ذلك القائد في مؤسسته والمدير في دائرته كل هؤلاء يتوقع منهم أكبر مما صنع أبي لهب لفكرته ومشروعه . ولعل يوماً يدني لنا أحلام الناهضين!

...

- وعلمتني : أن أبا لهب كان يملك عادة المبادرة وهو أول من وقف أمام النبي صلى الله عليه وسلم حين دعا قريش للإسلام فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (تباً لك ألهذا جمعتنا) ! وما زال ينوء بأحمالها وأثقالها وكلما وقف إمامٌ في محراب ذكّرنا بأثرها عليه وأحمالها الضخمة في واقعه فهو يُسب في كل لحظة ويجري وعيد الله تعالى عليه بنار جهنم إلى يوم الدين ! وقد قال صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) ومن فقهك أن تدرك أثر هذا المعنى في حياتك فلا تكون رأساً في باطل ، ولا صاحب مبادرة في منكر ولا تسن سنة سيئة وتحيي أثرها في العالمين بعد موتها فتبوء بآثارها في الدارين ! وتذكر في المقابل أثر المبادرات الصالحة في حياتك ، وأن من سن حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ،

وما حاجة الأمة اليوم شيء حاجتها لصانع مبادرة في واقعه ، وكاتب لقصة حياة تجري أحداثها في العالمين ما بقيت الدنيا . يمكنك أن تكون رأساً في تخفيف تكاليف الزواج ، أو في إحياء قيم ومثل في مجتمعك ، ويمكنك أن تفتتح درساً في مكان فقد هذا المعنى ، أو تقيم حلقة لتحفيظ أبناء الحي أو بناته في مكان متشوّف لتلك الأماني ، أو تشارك في بناء فكرة أو رأي تصنع بها الحياة من حولك .

...

- وعلمتني : أن وجود العقبات في الطريق سنة من سنن الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ، ولن يأتي فجر خالياً من أحداثها فيمم وجهك وقلبك ومشاعرك لربك تعالى ، واثبت في طريق أحلامك ، وكن جاداً في تبني قضية دينك ، ولا توهنك عقبات الطريق وبين عينيك أحلام الدارين . هذا رسولك صلى الله عليه وسلم وفي أول يوم من أيام دعوته والباطل في طريقه ، والعقبات تزدحم بين يديه ولا معين يسلي قلبه ومشاعره في الأرض فضلاً من عون وصاحب يجلي عنه العقبات ، وأنت كذلك حين تبدأ في فكرتك ومشروعك وقضيتك فلا تستغرب ما تلقاه في الطريق إلى تلك الأحلام ، وكن على قدر فكرتك وقضيتك ومشروعك تجد أمانيك كما تشاء . في مرات كثيرة ستكون العقبات التي تواجهك من داخل بيتك ومن وأهلك ، وفي مرات أخرى من بيئتك التي تعيش فيها ومجتمعك الذي نشأت فيه ومن قومك ، وفي ثالثة من الظروف التي تحيط بك وتلقي بظلالها على واقعك ، وفي كل هذا تعلّم ألا تستلم لعائق مهما كان حجمه ولا تقف أمام عقبة وكان يمكنك أن تدفعها من طريقك ، وإياك أن تستلم وأنت ترى بوارق الفجر ، أو تقف حائراً في

عرض الطريق ولم يعد بينك وبين أحلامك سوى مسافة الطريق ، أو تغشى مشاعرك الحسرات وقد آن كل شيء ! كن بطلاً في مساحتك ، ومتفائلاً لا تفت في عضدك المشكلات ، وإياك أن تتخلى عن رايتك أو تتنازل عن فكرتك حتى يأذن الله تعالى بالغيث وتعود الأرض ربيعاً مورقاً مع الأيام .

...

- وعلمتني : أن الإسلام سيبقى منصوراً متفوّقاً في كل زمان ومكان مهما كانت الظروف التي يواجهها ، والعقبات التي يلقاها ، والأحداث التي تعرض له في الطريق ، هذه سنة الله تعالى في الكون ما بقيت الدنيا . وفي المقابل سيظل الباطل مهزوماً مدحوراً مهما زانت له الأيام ، وستحين ساعات فشله وإخفاقه وكساده ولو طالت به ذكريات النصر الموهوم مع الأيام ! وما هذا الموقف الذي تقصه سورة المسد (تبت يدا أبي لهب) إلا جزءاً من هذه الحقيقة الكبرى ، كان بالأمس في بداية الإسلام وليس في الأرض سوى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الكفر في المقابل ومعه أمم الأرض ، ومن تلك اللحظة إلى يومنا هذا والإسلام يزيد ولا ينقص ، ويكثر ولا يقل ، ويطول ولا يقصر ، ويتسع ولا يضيق (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) وليس غير هذه الحقيقة إلى قيام الساعة . إن هذا المعنى كفيل ببث روح الأمل والحياة في قلبك ، وبعث روحك من جديد ، ومدك بالطاقة التي لا تخيب بها ظنونك مع الأيام ، وإذا كانت هذه سنة الله تعالى في الكون فلا مكان لهمومك ، ولا مساحة ليأسك ، ولا عذر لوقوفك في عرض الطريق ، تفاءل ، وابدأ قصة مشروعك ، ورابط على ثغر من ثغور الإسلام ولا يغرك

جمهور الباطل أو سطوته في واقعك حتى يحين موعد النصر الكبير بإذن الله تعالى ، والسؤال الكبير ما دورك في نهضة دينك ؟ وما المشاركة الجادة التي ستساهم بها في نصره وتكوين مساحته ؟ وما الثغر الذي ستقوم عليه حتى يأذن الله تعالى بتلك النهايات التي ننتظرها في مستقبل الأيام ، وما بقي بعد هذه الإجابات لا علاقة لك به في شيء .

- علمتني سورة الإخلاص عظمة الله تعالى ، وخَلَقت تلك السورة في نفسي تقديساً وإجلالاً له تعالى ، وعرفت من خلالها أنه تعالى واحد في ذاته ، وواحد في ملكه ، فهو المالك لكل شيء ، القادر على كل شيء ، المدبر لكل شيء ، وما عداه عبيد مقهورون لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد) فهو الذي يحيي ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويُسعد ويشقي ، ويُعز ويُذل ، ويصل ويقطع ، وينفع ويضر ، ويهدي ويضل ، ويخفض ويرفع ، ويُشقي ويُسعد ويصنع كل شيء . هذا هو ربك الذي إذا أسعدك لا يمكن لبشر أن يشقيك ، وإذا رزقك لا يمنع رزقه عنك أحد من العالمين ، وإذا هداك ودلك على الطريق لا يقف في طريق هدايتك أحد من البشر ربك تعالى إذا شاء أمراً كان وإذا لم يشأ لا يكون شيئاً ، وإذا كان كذلك فهو المستحق لعبادتك وخوفك ورجائك ودعائك وتوسلك فمالك وللمخلوقين ! يمم قلبك ومشاعرك إلى ربك تعالى ، واقبل صادقاً إليه ، وسله ملحاً أن يمن عليك بالتوفيق ، ويهبك من فضله ، ويبعث في قلبك مشاعر الفرح ، وستجري حينها الحياة في قلبك إلى أقصى مدى .

...

- وعلمتني : الحرية وأن من فقه ما فيها من معانٍ فكت قلبه من أسر المخلوقين ، وخلصته من الأوهام ، وأقبلت به إلى الله تعالى دون عناء وجعلته حراً إلا من الله تعالى ! تأمل في حديث ربك (ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكتسوني أكسكم ياعبادي

لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً ، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وقفوا في صعيد واحد فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) واعرف له هذا المعنى ، ورد إليه بقلبك واطرح نفسك بين يديه وارفع قلبك عن رؤية أحد من خلقه فالعظيم يستحق منك كل شيء . كم هم العبيد لغير الله تعالى وهو الذي خلقهم ! كم هم الذين يجهدون ويتعبون ويصنعون كل شيء لمخلوق وهو الذي منّ عليهم ورزقهم ! كم هم الذي يرزحون في قيود الأوهام والشبه والذل والعبودية لغير الله تعالى وقد فكهم الله تعالى من كل شيء فأبوا إلا أن يموتوا وهم في قيود الحريات. الحرية ألا تقف لغير الله تعالى ، ولا تخشى سواه ، ولا تتوكل إلا عليه ، ولا تطلب رزقك إلا منه ، ولا تسعى في مرضاة أحد من العالمين إلا بعد رضاه . الحرية أن تعلم أن كل العالم من حولك عبيد لله تعالى لا يغنون في شربة ماء ولا في كسرة خبز فضلاً أن ينفعوك أو يضروك في شيء .

...

- وعلمتني : أن ترك الرياء ومحاربة صوره والخلاص منه واجب كل مؤمن يرجو ما عند الله تعالى لأن الواحد هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ومن عرف ذلك عرف كل شيء ، وكم كان عظيماً ذلك الصحابي الذي أم قومه فكان يقرأ في كل ركعة بسورة ويختم بالإخلاص فلمّا سأله النبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله إنها صفة الرحمن وإني أحب أن أقر بها ، وفرق بين قارئ وقارئ ! وإذا تأملت معاني السورة بجد أدركت كم هي حاجتنا للإخلاص ! كم هي المرات التي نرقب فيها المخلوقين ونجهد في رضاهم ، ونتوسل إليهم

بكل شيء وفاتنا أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً أن ينفعوا غيرهم في شيء . حين نعرف الله تعالى حق المعرفة نصلي لله تعالى وأقرب ما نكون إليه في خلواتنا ، ونذهب نشارك الآخرين في أفراحهم وعزائهم وكل ذلك لله تعالى ، وكلما كرّ علينا الرياء قرأنا عليه (قل هو الله أحد . الله الصمد) !

- علمتني سورة الفلق أن كل علم لا يترتب عليه عمل فلا قيمة له في واقعك ، ووقتك أجل من أن يذهب في قراءة أسطره أو تَعَلُّم حرفه في شيء ، وما تصنع بركام حرف لا قيمة له في واقع الحياة ، وما أكثر المعرفة التي تدار في زماننا في وسائل التواصل الاجتماعي ويتناقلها الناس في كل مرة ثم لا تجد لها واقعاً في حياة كثيرين ! وما حاجتنا اليوم لشيء في كل علم نتلقاه حاجتنا لتطبيقه وتحويل تلك المعرفة إلى شأن من شؤون العمل ، وفي قول الله تعالى في هذه السورة (قل) دعوة لتحويل المعرفة إلى واقع تطبيقي ، وتشكيل حياتنا بناء على ما يجري في فصول الوحي . تعلّم في كل مرة أن ثمن العلم أكبر من مجرد قراءته ، وأعظم من أن يأخذ من وقتك ثم لا يتحوّل مع الزمن إلى واقع في حياتك ، ومن صنع هذا وجد كل شيء . احتجم الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأعطى الحجام أجراً فقيل له فقال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الحجام أجراً وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم (ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) فقال ابن عمر راوي الحديث : فما مرت عليّ ليلة مذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي . تعلّم في كل مرة ألا تقرأ إلا ما ينفعك ، وإذا قرأت نافعاً فاجعله واقعاً في يومك أو ليلتك ودرّب نفسك في كل مرة على أن ثمن العلم أعظم من أن يجري في حياتك دون أثر .

...

- وعلمتني : أن الوقاية منهج شرعي ، وأن من كمال عقلك أن تحول ما بينك وبين الشرور العارضة في الطريق بالأسباب الواقية منها . وكم من

تفريط في هذا المعنى أوجب نهاية سوء ومواقف حرمان في حياة كثيرين . توقف بعض طلاب العلم عن القراءة مع شغفه بها سنة كاملة لا يستطيع أن يمد يده إلى كتاب ، وآخر توقف مشروعه من أصله ، وثالث ساءت ظروفه ، ورابع وخامس وعاشر وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم (العين حق لو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغتسلوا) وأثبت الله تعالى أن في العالم من حولك شروراً تحتاج إلى توق واحتراس (قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد) وتذكرك هذه السورة أن ثمة أعداء من حولك ، وشرور تحتف بك فالليل ظرف لكثير من الشرور وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم (لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فَحْمَة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء) ، وق مثل ذلك في السحر والحسد فهو شرور قاتلة إن لم يستعد لها الإنسان غاية وسعه ، ولا سبيل إلى دفعها والخلاص من شرورها والنجاة من آثارها إلا باللجأ إلى ربك ومولاك ، والفرار إليه تعالى والاستعاذة به فهي السبيل لنجاتك من كل شيء (قل أعوذ برب الفلق) وكم من سالم من عطب ! وقائم من كدر ! وخارج من ضيق بعد أن كان على وشك الضياع والهلاك ! ومن عرف الله تعالى وقام بحقه وبذل الأسباب وقاه الله تعالى من عوارض الطريق.

...

- وعلمتني : أن لكل مشكلة حل ، وأن كل شر في الكون مقابل بأسباب للفكاك منه ! وما أنزل الله تعالى داء إلا أنزل له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله ، ولا أعظم لك من صلتك بالله تعالى فهي أول الطريق وأصله

وقاعدته وقد أبان الله تعالى لك المشكلات والعوائق والشرور (قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد) ثم دلك على الطريق الذي يخلصك منها (قل أعوذ برب الفلق) فللفلق رب يعينك على الخلاص مما يواجهك منه ! فأقبل على ربك ، واصدق معه في الطريق ، واشتوثق منه قدر وسعك ، وحافظ على طاعته وأجل أمره ، وعظّم شعائره ، وتوقي قدر وسعك أسباب سخطه وعقابه وقد قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ومن اتقى الله تعالى ، وحافظ على أذكار الصباح والمساء ، وقرأ هذه المعوذات الثلاث بعد كل صلاة مرة ، وبعد الفجر والمغرب ثلاثاً ، وقرأ آية الكرسي وعاش متوكلاً على ربه تعالى مطمئناً لقضائه وقدره سلم من الشرور بإن الله تعالى وعاش معافى من أحداثها والله المستعان .

- علمتني سورة الناس : أن مشكلتنا الكبرى مع حقائق الوحي أنها لا تأخذ حقها الكبير من واقعنا ، وكم من حقيقة أكّد عليها ، ونوّع في التحذير منها ومع ذلك ما زالت بمنأى عن كثيرين ، من هذه الحقائق التي تولى الوحي الإفصاح عنها وكررها أن لنا عدو قرر وأقسم بربه أنه سيتولى إضلالانا وضياعنا ما أمكنه إلى ذلك من سبيل (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) ، (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم عن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) وحقيقة مثل هذه يجب أن تأخذ حقها من النقاش والوعي حتى تصبح أوضح ما تكون ، فكيف إذا عرفت أن عدوك الذي حذرك منه الوحي هو الذي تولى إخراج أبيك آدم وكان سبباً في ضياع نعيمه كما قال الله تعالى (فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) وما زال به حتى أخرجه من الجنان !وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان) ، وفي رواية : (يمسه حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسه الشيطان إياه) كأنما يقول له هذه بداية المعركة معك .. تُعلمك سورة الناس أن من فقهك وكمال وعيك أن تدرك عدوك وتعرف حجمه وتتحصن منه وتبلغ وسعك في الفرار من طرقه حتى تلقى الله تعالى وأنت سالم من الخذلان.

...

- وعلمتني : أن (الوسوسة) أخطر ما يواجهك به عدوك وهي أول وسائله وأهمها وقاعدة البداية معك للضياع ، والوسوسة هي الحديث الداخلي الذي

يجري بينك وبين نفسك يزين لك فيه المعصية ويجملها لك ، ويجري أحداثها في مشاعرك ، ويعرضها لك في صورة فاتنة مغرية حتى تتمكن من قلبك ثم يلقي بك مأسوراً في شباكها بعد أن كنت حراً طليقاً من آثارها. الوسوسة التي يجريها الشيطان معك كالحب الذي تلقيه للطائر لتمسكه من خلاله ، وكالمأكولات الشهية التي تضعها للفأر من أجل القبض عليه وقتله لا فرق ، وكل الذين في السجون العامة دخلوا إليها من خلال هذه الخطة وحُرموا من كل شيء في النهاية . فكن فطناً وإياك وخطواته ولا تغتر بالعرض الممتع في أول الطريق فهو السبيل إلى أسوأ النهايات ، وكم من مكبّل بالسلاسل بعد حرية ! وكم من ضائع بعد عز وشرف ! وما أكثر الهلكى من أثر هذا المعنى في زمانك ! (مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ)

...

- وعلمتني : أن شرارة الخلاف الكبير في البداية مزاح ، وبوابة الزنا خيانة عين ، وأول خطوات الخذلان رؤية مشهد عابر في وسيلة من وسائل التقنية ، وتجربة طريق مجهول ، وعلى مثل هذه البدايات تُسفك القيم ، وتذبل معالم التوفيق ، وتتصحّر قلوب الأتقياء ، وتموت مباهج الاستقامة وينتهي كل شيء ، وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم (فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان حتى لا يسمع صوت التأذين فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوّب للصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول أذكر كذا ، أذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى ! قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوّره لنفسه ويمنيه ويشهّيه فيصير شهوة ويزينها له ويحسنها ويخيلها في خياله حتى تميل نفسه إليه

فيصير إرادة . اهـ فكن فطناً بخطط عدوك وتجهّز لمواجهته ، وإياك أن يلقي بك في خنادق الظلام .